

**إبداعات عربية
في
التسامح والسلام**

إِبْدَاعَاتُ عَرَبِيَّةٌ

فِي التَّسَامِحِ وَالسَّلَامِ

المحرر العام

د. شهاب غانم

المعدون والمحرون

أ. د. أحمد المنصوري

د. نعيمة الغامدي

د. أمل الأحمدى

محتوى الكتاب

11	إهداء
13	مقدمة
مقالات ودراسات	
15	عام التسامح والأخوة الإنسانية في فكر الشيخ زايد
	معالي ذكي أنور نسيبة (وزير دولة)
25	ما بعد وثيقة الأخوة الإنسانية
	د. يوسف الحسن
31	في التسامح السياسي والأخلاقي والديني
	د. رياض نعسان آغا
39	افشوا التسامح
	أ. علي عبيد الهاجري
45	التسامح والتعددية الثقافية
	د. غانم جاسم السامرائي
51	التسامح الثقافي
	أ. محمد عبدالله نور الدين

57	تأملات حول نزعات الخير في الشعر العربي	د. محمد عبد القادر سبيل
67	هل نتعلم من (جوجل) التسامح؟	أ. محمد الجلواح
73	بلد التواضع والتسامح	د. رفيعة غباش
77	مساحات التسامح الإماراتي	أ. عبدالله محمد السبب
83	ابتسِم أنت في وطن التسامح	أ. وائل الجشي
87	شدّرات في التسامح والسلام	أ. وائل الجشي
93	نفحات السلام	أ. عبدالله محمد السبب
99	دور الشعر في السلام	د. شهاب غانم
107	الشعر والجمال والمحبة	أ. د. علي جعفر العلاق
115	زهير بن أبي سلمى داعية السلام منفر الحرب	أ. د. أحمد مقبل المنصوري

129	الدعوة الى السلام العالمي في أدب علي أحمد باكثير
	د. عبدالحكيم الزبيدي
143	الفن من أجل السلام
	د. أمل عايد الأحمدى
149	آمنيات السلام
	د. نعيمة أحمد الغامدي
155	عالمة الإسلام
	أ. نادية عبدالوهاب خوندنة

القصائد

163	لوحة السلام
	د. أحلام منصور الحميد القحطاني
165	لجة احتضان
	أ. إيمان البهنسى
169	فقاعة الأحزان
	أ. جاسم الصحيح
172	أرض السلام
	أ. د. حسن الأمراني
173	كن آدما
	أ. حسن شهاب الدين

179	لوبني جسرا
	أ. ساجدة الموسوي
181	أخي
	أ. سعيد الصقلاوي
185	فوبيا
	د. شهاب غانم
186	للمغريين خارج الحب والسلام
	أ. شيخة المطيري
188	سلام على السلام
	أ. عبدالحميد القائد
191	أحب السلام
	الفريق أ. د. عمر أحمد قدور
193	أغنية للحب والتسامح
	أ. د. محمد أبو الفضل بدران
196	الشعر دوائي
	أ. محمد الجلواح
199	الشعر .. مقبرة الكراهية
	أ. محمد الجلواح
201	التسامح
	أ. محمود نور

203	إمارات التسامح
	أ. وائل الجشي

قصائد مترجمة

207	السلام
	د. أحمد يحيى الغامدي
210	حين الصخور تنادينا
	د. أحمد يحيى الغامدي
211	صناعة السلام
	د. أمل عايد الأحمدى
213	العالم الذي احلم به
	أ. زكريا أحمد عيد
215	شجرة السم
	أ. زكريا أحمد عيد
217	التسامح فضلاً
	د. شهاب غانم
218	ماذا؟
	د. شهاب غانم
221	ملحق بأعضاء الملتقى

إهداء

إلى كل نفس تحضن التسامح

وتتوقف إلى السلام..

مقدمة

هذا هو الكتاب الثاني الذي يصدر عن «ملتقى الوثاب للأدباء والكتاب» الذي أسسُ في مارس 2017م من خلال مجموعة في «واتس أب» ضمّت نحو 60 شاعراً وأديباً ومتّفلاً معروفاً وشخصية عامة، وكان قد أصدر الملتقى في فبراير الماضي ما يظن أنه أول كتاب يصدر ورقياً عن مجموعة «واتس أب» - أو ما يترجم لدى بعضهم بالوثاب - وكان بعنوان «شموء ذات ألوان» شارك فيه 33 شاعراً من أعضاء الملتقى بثلاثة وثلاثين قصيدة مختلفة الأشكال؛ بين بيئية وتفعيلية ونشرية، تتناول موضوعات مختلفة. ونشر الكتاب مع ترجمة إلى الإنجليزية للقصائد قام بها 8 جميعهم من الأعضاء أيضاً، وبعض القصائد ترجمها أصحابها، كما حرر الكتاب 3 من الأعضاء. وقدّمَ الكتاب في ندوة ضمن مهرجان طيران الإمارات للآداب في دبي في مارس 2019م، كما كتبت عنه عدة صحف محلية وعربية، مثل الاتحاد والبيان والخليج والأهرام المصرية وأيضاً صحف أجنبية.

بعد الانتهاء من تلك التجربة الأولى من نوعها ارتّأى الأعضاء - وقد بلغ عددهم 71 عضواً - الاستمرار مباشرةً في التجربة بتقديم كتاب ثانٍ هو هذا الذي بين يدي القارئ، وقد ارتّأى غالبية الأعضاء أن يتّناول موضوعي التسامح والسلام؛ لأنّهما موضوعاً الساعة، بل نجد أن دولة عربية كإمارات قررت أن يكون عام 2019م عاماً للتسامح، وكانت قد وقعت في أبوظبي وثيقة «الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك» في 4 فبراير 2019م من قبل شيخ الأزهر الشريف، وقدّاسة البابا، تحت رعاية دولة الإمارات العربية المتحدة. ولاشك أن ذلك كان في حد ذاته إنجازاً تاريخياً كبيراً.

في هذا الكتاب شارك عدد من الأعضاء بعشرين مقالة ودراسة عن التسامح والسلام، كما شارك بعض الشعراء والشاعرات من الأعضاء بست عشرة قصيدة، وشارك بعض المترجمين والمترجمات بسبع قصائد مترجمة عن لغات أجنبية.

وهذا الكتاب عبارة عن محاولة رائدة من قبل مجموعة من المثقفين المستنيرين العرب، جمعتهم صدقة أو رفقة على وسيلة تواصل حديثة هي (الواتس أب / الوثاب) وطمحوا -من خلالها- إلى الإسهام في التأثير من أجل مستقبل أفضل للأمة والعالم ضد التطرف والظلم، وإنارة مفهومي التسامح والسلام. وعلينا أن نؤكد هنا - كما أوضح بعض الأصدقاء في هذا الكتاب- أن التسامح لا يعني قبول الظلم أو الاحتلال أو اغتصاب الأرض؛ فهذه كلها لا تستقيم مع مفهوم العدالة، ولا مع منظومة القيم الإنسانية التي تضج بمبادئ احترام الآخر، وصون كرامته وحقوقه.

، وصدق الله القائل في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات الآية 13).

وفي الختام أود أن أعرب عن جزيل شكري لكل الأدباء والشعراء والمترجمين الذين شاركوا في تقديم مواد هذا الكتاب الثرية والمتعددة، كماأشكر - بشكل خاص- لجنة التحرير التي قامت بدور مهم في الإعداد والتصحيح والتحرير والإخراج: أ. د. أحمد المنصوري - د. أمل الأحمدى - د. نعيمة الغامدي.

والله ولي التوفيق.

المحرر العام : د. شهاب غانم

مايو 2019م

عام التسامح والأخوة الإنسانية

في فكر الشيخ زايد

زكي أنور نسيبة (وزير دولة)

عام التسامح والأخوة الإنسانية في فكر الشيخ زايد

استضافت العاصمة أبوظبي في دولة الإمارات العربية في مستهل عام التسامح حدثاً تاريخياً يعد الأول من نوعه في الجزيرة العربية، نظمته مجلس حكماء المسلمين، وهو لقاء الأخوة الإنسانية بحضور كل من قداسة البابا فرانسيس الثاني، بابا الفاتيكان، وسماعة الدكتور أحمد الطيب، الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وبمشاركة 700 شخصية دينية من رجال وعلماء الدين من مختلف الديانات والطوائف. وهدف المؤتمر لتكريس الحوار والتواصل بين الأديان السماوية، وتعزيز دور الإمارات مركزاً عالمياً للحوار بين الحضارات.

وقد أكد البابا فرنسيس في كلمة ألقاها في صرح زايد المؤسس أن دولة الإمارات، بفضل بعد النظر والحكمة، تمكنت خلال سنوات قليلة من تحويل الصحراء إلى مكان مزدهر ومضياف، وصارت مكاناً للقاء بين الثقافات والديانات.

وقال أيضاً: إن هذا البلد الذي تعاون فيه الرمالُ ناطحات السحاب يبقى تقاطعاً مهماً بين الشرق والغرب، بين شمال الأرض وجنوبها، يبقى مكاناً للنمو، حيث الفسحات التي لم تكن مأهولةً في السابق تقدماليوم فرص عمل لأشخاص من الأمم المختلفة.

وفي مشهدٍ جسّدَ معاني التسامح واحترام الآخر، وقع القطبان الكبيران بحضور كل من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وأصحاب السمو أولياء العهود وكبار المسؤولين والضيوف وثيقة الأخوة الإنسانية.

وَثِمَّ المُوقَعَانِ عَلَى الْوِثِيقَةِ الْجَوَابَ الْإِيجَابِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا الْحَضَارَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَدِيثَةُ فِي مَجَالِ الْعِلْمِ وَالْتَّقْنِيَّةِ وَالطِّبِّ وَالصَّنْعَاءِ وَالرِّفَاهِيَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ فِي الدُّولَ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَلَكُنْهُمَا لاحظاً تَرَاجِعاً مَعَهَا فِي الْأَخْلَاقِ الْصَّابِطَةِ لِلتَّصْرِيفَاتِ الدُّولِيَّةِ، وَفِي الْقِيمِ الرُّوحِيَّةِ وَالشَّعُورِ بِالْمَسْؤُلِيَّةِ؛ مَا أَسْهَمَ فِي نَشْرِ شَعُورِ عَامٌ بِالْإِحْبَاطِ وَالْعَزْلَةِ وَالْيَأسِ، وَدَفَعَ الْكَثِيرِينَ إِلَى الْانْخِرَاطِ إِمَّا فِي دَوَامَةِ التَّطَرُّفِ الْإِلْحَادِيِّ، وَإِمَّا فِي دَوَامَةِ التَّطَرُّفِ الْدِينِيِّ وَالْتَّشَدِّدِ وَالْتَّعَصُّبِ الْأَعْمَى، كَمَا دَفَعَ بَعْضَهُمْ إِلَى تَبْنِي أَشْكَالٍ مِنَ الْإِدْمَانِ وَالْتَّدْمِيرِ الذَّاتِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ.

وَنَصَّتِ الْوِثِيقَةُ عَلَى أَنَّ التَّارِيخَ يُؤَكِّدُ أَنَّ التَّطَرُّفَ الْدِينِيِّ وَالْقَومِيِّ وَالْتَّعَصُّبَ قَدْ قَادَ الْعَالَمَ، سَوَاءً فِي الْغَرْبِ أَوِ الْشَّرْقِ، إِلَى مَا يُمْكِنُ أَنْ نُطْلَقَ عَلَيْهِ بِوَادِرَ «حَرْبِ عَالَمِيَّةِ ثَالِثَةَ»، بَدَأَتِ تَكْشِفُّ عنْ وُجُوهِهَا الْقَبِيعَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَماْكِنِ، وَعَنْ أَوْضَاعِ مَأْسَوَيَّةٍ لَا يُعْرَفُ - عَلَى وِجْهِ الدِّقَّةِ - عَدْدُ مَنْ خَلَفُتْهُمْ مِنْ قُتْلَى وَأَرَاملَ وَثَكَالَى وَأَيَّتَامَ. وَشَدَّدَ قَدَاسَةُ الْبَابَا وَسَمَاحَةُ شَيْخِ الْأَزْهَرِ عَلَى أَنَّ الْأَزْمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الطَّاحِنَةِ، وَالظُّلْمِ، وَافْتِقَادِ عَدَالَةِ التَّوزِيعِ لِلشَّرَوَاتِ الْطَّبِيعِيَّةِ - الَّتِي يَسْتَأْثِرُ بِهَا قَلْلَةٌ مِنَ الْأَثْرَيَاءِ وَيُحْرَمُ مِنْهَا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنَ شَعُوبِ الْأَرْضِ - قَدْ أَنْجَوْتُمْ وَيَنْتَجُونَ أَعْدَادًا هَائلَةً مِنَ الْمَرْضِيِّ وَالْمَعْوِزِيِّ، وَأَزْمَاتٍ قَاتِلَةً تُعْنِي مِنْهَا الْبَشَرِيَّةُ كَافِةً.

وَتُطَالِبُ الْوِثِيقَةُ قَادِيَّةَ الْعَالَمِ، وَصَنَاعَ السِّيَاسَاتِ الدُّولِيَّةِ وَالْإِقْتَصَادِ الْعَالَمِيِّ، بِالْعَمَلِ جَديًّا عَلَى نَشْرِ ثَقَافَةِ التَّسَامُحِ وَالتَّعَايِشِ وَالسَّلَامِ، وَالْتَّدْخُلِ فُورًا لِإِيقَافِ سَيِّلِ الدَّمَاءِ الْبَرِيءَةِ، وَوَقْفِ مَا يَشَهِدُهُ الْعَالَمُ حَالِيًّا مِنْ حَرُوبٍ وَصَرَاعَاتٍ وَتَرَاجِعٍ مَنَاخِيِّ وَانْحِدَارٍ ثَقَافِيِّ وَأَخْلَاقِيِّ، وَتَتَوَجَّهُ الْوِثِيقَةُ لِلْمُفَكِّرِينَ، وَالْفَلَاسِفَةِ، وَرِجَالِ الدِّينِ، وَالْفَنَانِيِّنَ، وَالْإِعْلَامِيِّيِّنَ، وَالْمُبَدِّعِيِّنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِيَعِيدُوا اِكْتِشَافَ قِيمِ السَّلَامِ، وَالْعَدْلِ، وَالْخَيْرِ، وَالْجَمَالِ، وَالْأَخْوَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْعِيشِ الْمُشْتَرِكِ، وَلِيُؤَكِّدُوا أَهْمِيَّتَهَا كَطْوَقِ نَجَّاهَ لِلْجَمِيعِ، وَلِيَسْعُوا فِي نَشْرِ هَذِهِ القيَمِ بَيْنِ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

هذا وَفِي حَدِيثٍ تَارِيَخِيٍّ آخرَ كَرْسَ رَمْزِيَّةِ عَامِ التَّسَامُحِ لِدُولَةِ إِلْمَارَاتِ فِي أَذْهَانِ الْمَجَتمِعِ الدُّولِيِّ، أَسْتَضَافَتْ أَبُوظِبِيَّ الْأَلْعَابَ الْأُولَمْبِيَّةَ الْعَالَمِيَّةَ لِأَصْحَابِ الْهَمَمِ فِي الْمَدَّةِ مِنْ 8 إِلَى 22 مَارْسِ 2019 مَشَارِكَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ 170 دُولَةً. وَكَانَ الْمَهْرَجَانُ باعْتِرَافِ

الجميع الأكثر وحدةً وتضامناً في تاريخه، نجحت فيه دولة الإمارات من خلال قاعدتها السكانية المتنوعة، وتقاليدها الراسخة في حُسن الضيافة وثقافة التطلع، وإظهار الروح التي تمثل القيم الأصلية للأولبياد الخاص، والتمثلة في احترام الناس من مختلف مناحي الحياة والقدرات، حيث إن الألعاب العالمية هذه تُعد أكثر من مجرد حدث رياضي على مستوى عالمي، بل هي حافز لتحسين نوعية الحياة، والوصول إلى تحقيق كامل الإمكانيات الجماعية، وتعزيز خطوات دمج أصحاب الهمم من ذوي الإعاقة الذهنية وغيرهم في المجتمع، داخل دولة الإمارات وفي المنطقة والعالم أجمع.

كلا الحدفين أتيا تعزيزاً لمبادرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله - إعلان «عام 2019» عاماً للتسامح، يُرسي دولة الإمارات عاصمةً عالميةً للتسامح ويؤكد قيمة التسامح، بوصفه عملاً مؤسسيًا مستداماً، من خلال مجموعة من التشريعات والسياسات الهدافة إلى تعميق قيم التسامح والحوار وتقبل الآخر والانفتاح على الثقافات المختلفة خصوصاً لدى الأجيال الجديدة، بما تعكس آثاره الإيجابية على المجتمع بصورة عامة.

وقد أكد صاحب السمو رئيس الدولة في إعلانه أن عام التسامح هو امتداد لـ «عام زايد»، لكونه يحمل أسمى القيم التي عمل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على ترسيختها لدى أبناء الإمارات.

ويشهد «عام التسامح» التركيز على خمسة محاور رئيسية، أولها تعميق قيم التسامح والانفتاح على الثقافات والشعوب في المجتمع، من خلال التركيز على قيم التسامح لدى الأجيال الجديدة، وثانيها ترسيخ مكانة دولة الإمارات عاصمةً عالميةً للتسامح، من خلال مجموعة من المبادرات والمشاريع الكبرى في هذا الإطار، منها المساهمات البحثية والدراسات الاجتماعية والثقافية المتخصصة في مجال التسامح وحوار الثقافات والحضارات، وثالثها التسامح الثقافي من خلال مجموعة من المبادرات المجتمعية والثقافية المختلفة، ورابعها طرح تشريعات وسياسات تهدف إلى مأسسة قيم التسامح الثقافي والديني والاجتماعي، وأخيراً تعزيز خطاب التسامح وتقبل الآخر، من خلال مبادرات إعلامية هادفة.

وأعلن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، عن اختيار شجرة الغاف شعاراً لعام التسامح؛ نظراً للدلائل الكبيرة التي تحملها الشجرة بوصفها من الأشجار الأصلية، وترتبط بال מורوث الشعبي والبيئي والأصالة الإماراتية، وتعد رمزاً للصمود في الصحراء.

وقد حدد وزير التسامح الشيخ نهيان بن مبارك في ندوة الفكر التي انعقدت في جامعة نيويورك حديثاً أن وزارته ستترشد بالخصائص الآتية لتعريف معنى التسامح:

- التسامح يتطلب احترام التنوع والاختلاف في جميع أشكاله.

- التسامح يحفز القدرة على التعاطف مع موقف شخص آخر أو نظرته أو موقفه أو معتقده.

- التسامح يشجع التعاطف، أي الوعي الوجداني لضيق الآخرين ورغبة في تخفيفه.

- التسامح يمكن الأفراد من العيش وفقاً لقاعدة الذهبية: «أحب لأخيك ما تحب لنفسك».

- التسامح يمكن من إجراء حوار مفتوح ونزيه وواثق بين الأشخاص الذين يختلفون عن بعضهم البعض ويؤدي إلى التقاهم والاحترام المتبادلين.

- التسامح ضروري لحل النزاع.

- التسامح يبني المرونة التي تسمح للشخص مواجهة الظروف الضارة وفهمها والتغلب عليها.

- التسامح لا يتطلب قبول الظلم الاجتماعي أو التخلی عن قناعاته.

- التسامح يتيح إنشاء فرق مُنتجة في مكان العمل وفي المجتمعات.

- التسامح يعزز التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمجتمع المدني.

قرار حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة بإعلان العام 2019 عام التسامح حمل دلالات مهمة للمجتمع الدولي الذي يعنياليوم من تمزق النسيج المجتمعي وتنشيط العصبية والعنف في العديد من دوله. فالإمارات مقتنة بأن الأسرة الدولية أحوج ما تكون

فيه اليوم للتضامن معاً على مستوى الإنسانية لمواجهة المخاطر المصيرية التي تحيط بنا. ومن أجل تحقيق ذلك علينا الإقرار أولاً بأن التسامح ليس حالة تلقائية لدى الشعوب والدول بل هو ثقافة يجب العمل على تعزيزها وتحسينها محلياً وإقليمياً وعالمياً.

وبالرغم من أن البشرية قد مررت بتجارب عديدة أثبتت عبر القرون أن تعزيز التسامح عامل ضروري لإثراء الحياة البشرية، كما شهدت على ذلك العصور الذهبية للحضارة الإسلامية، إلا أن أحد التحديات العالمية الكبرى التي نواجهها في عصرنا الحديث هو تقسي التعصب والتطرف والشغوبية المنغلقة على نفسها التي تؤدي إلى العنف وتكرر نزعة الدمار والاقتتال ورفض التعددية، وهو وباء نراه منتشرًا للأسف الشديد في العديد من المجتمعات من حولنا. ونحن في الإمارات ندرك أنه ليس من السهل تحقيق روح التسامح واستدامته، بدون العمل على تكريس ثقافة مجتمعية تتقبل التعددية وتحترم الاختلاف. وهذا يتطلب تعاوناً والتزاماً من الأفراد والمؤسسات والمدارس والجامعات مؤسسات الأعمال والحكومات.

ولم يكن إعلان عام 2019 عاماً للتسامح في دولة الإمارات العربية المتحدة بعد «عام زايد» مجرد مصادفة، بل جاء تأكيداً لرؤية القيادة الحكيمية للتسامح بوصفه امتداداً للقيم النبيلة التي جسدتها شخصية المغفور له بإذن الله الشيخ زايد خلال حياته. فخلال السنوات الماضية، شهدت دولة الإمارات تعزيزاً ملحوظاً للتسامح نهجاً للحياة، ومكّوناً للهوية الوطنية الجامحة التي تستمد صيرورتها من التسامح والتعايش المشترك، والتنوع الثقافي، والحضاري، والافتتاح على الثقافات، ومكافحة الكراهية والعنف، ومدّيد العون للمحتاجين والملهوفين في كل مكان.

ومن أبرز المحطات التي شهدتها دولة الإمارات خلال الخمس عشرة سنة الماضية على المستويين الرسمي والأهلي، لإعلاء شأن التسامح، قيمة وممارسة، إنشاء وزارة للتسامح، وإطلاق البرنامج الوطني للتسامح، وتنظيم الملتقيات العالمية والوطنية حول التسامح، وتعزيز حوار الأديان وحوار الحضارات، ومكافحة التمييز والكراهية، وإطلاق المبادرات المختلفة لتعزيز الأخوة الإنسانية والعيش المشترك.

وقد أقرّت دولة الإمارات العديد من التشريعات والتدابير والمبادرات والإجراءات التي

تُسْهِمُ في تعزيز ثقافة التسامح على المستوى الوطني، من بينها قانون «مكافحة التمييز والكراهية»، والذي شمل مواد تجرم التمييز بين الأفراد أو الجماعات على أساس الدين أو المذهب أو العرق أو اللون أو الأصل، أو استغلال الدين في التكفير، أو دعم الإرهاب مالياً.

كما وتلتزم دولة الإمارات بالعديد من الاتفاقيات الدولية المعنية بالتسامح والتعايش ونبذ العنف والتطرف، وتعد الدولة نموذجاً وقدوةً تُحتذى في التسامح وقبول الآخر لاحتضانها أكثر من 200 جنسية على أراضيها يعيشون بانسجام ووئام، ويضمّن القانون الحق للمقيمين في استخدام مراافق الدولة الصحية والتعليمية والثقافية والترفيهية أسوةً بمواطنيها بدون أي تمييز.

هذا ويعُد التسامح ركيزة أساسية في السياسة الخارجية للدولة، والتي ترسّخت منذ قيام الدولة من خلال تطبيق مبدأ الاحترام المتبادل والحوار والتعاون وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ونبذ العنف والتطرف.

أسهم كل ذلك في تصدر الإمارات المركز الأول في مؤشر «التسامح مع الأجانب» في ثلاثة تقارير دولية لعام 2017 - 2018 هي: «الكتاب السنوي للتنافسية العالمي» و«تقرير مؤشر الازدهار الصادر عن ليجاتم»، و«تقرير مؤشر تنافسية المواهب العالمية» الصادر عن معهد إنسياد.

وكانت دولة الإمارات، وما تزال، تمثل إحدى قوى الخير في العالم، تمتد أياديها البيضاء إلى كل بقاع الدنيا بالعطاء والعون لأهداف إنسانية بحثة، مما جعلها على رأس قائمة الدول الأكثر عطاء في العالم لعام 2016، 2017 فأثبتت بذلك قدرتها على ترجمة قيم التسامح والأخوة الإنسانية التي تعتز بها إلى برامج ملموسة من الخير والعطاء اللامتناهي. كما أنها أثبتت قدرتها على منافسة أبرز المانحين الدوليين في مجال المساعدات الإنمائية الرسمية، قياساً لدخلها القومي الإجمالي.

من المؤكِّد إذاً أن التسامح في دولة الإمارات العربية المتحدة، ليس شعاراً للاستخدام في الكلمات الخطابية والمناسبات المهرجانية، بل هو ممارسة فعلية منبثقة من رؤية

سديدة، أرسى دعائِمَها المغفورُ لهُ الشيُخُ زايد بن سلطان آل نهيان - طَيْبَ اللَّهِ ثرَاهُ - لتحولَ فيما بعد إلى نهج حياة، ومكوّن رئيسي من مكونات الهوية الوطنية الجامحة، تتبنّاهُ القيادةُ الحكيمَةُ في الدولةِ في توجُّهاتها وسياستها المحليَّة والعربيَّة والدولية كافَةً.

فقد كان الشيُخُ زايد - طَيْبَ اللَّهِ ثرَاهُ - يحملُ فكرًا جليًّا يعزُّ إعلاً احترام الآخر، وتقدير الأخوة الإنسانية، والتسامح مع بني البشر، والعيش المشترك، وحبُّ الخير للناسِ كافَة، والسلامَ بين الدولِ والشعوب، مُسْتَنِدًا إلى التعاليم السمحنة لديننا الإسلاميِّ الحنيف، وإلى التقاليد العربيَّة الأصيلةِ.

ولم يكن فكرُ الشيُخُ زايد مجرد كلمات نظرية، بل كان تطبيقًا محسوسًا لكل ما تعنيه كلمة التسامح من معانٍ ودلائل، ظلَّ طوال حياتهُ المليئة بالعطاء، يُشكِّلُ معلِّماً بارزاً من شخصيتهِ الفذَّة.

فالتسامُحُ كان لدى الشيُوخُ زايد - طَيْبَ اللَّهِ ثرَاهُ - فعلاً إنسانياً عابراً للحدود، لأنَّهُ كان يقولُ دائمًا: إنَّ البشريةُ أسرةٌ واحدةٌ، يرى في الإنسانِ - أيُّهما كان - بذرةَ صالحةَ لاستدامةِ الحياةِ وصَيْرورتها، لا بدَّ من الحفاظِ عليها وحمايتها من شرورِ الكراهيَّةِ والإرهابِ والعنفِ.

ونجدُ هذه الرؤيةَ في أنصع صورها متجليَّةً في خطابات القيادة السياسيَّة الحاليَّة التي جعلت من إرثِ المغفورُ لهُ - بإذنِ اللهِ - الشيُخُ زايد منبعَ إلهامٍ لكل ما يصدُّر عنها من تصريحاتِ.

ففي سياقِ حديثِه عن دورِ دولةِ الإماراتِ في تعزيزِ قيم التسامح والتعايش، أكدَ صاحبُ السموِّ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائبُ رئيسِ الدولةِ، رئيسُ مجلسِ الوزراء، حاكمُ دبي - رعاهُ اللهُ - على «أننا نعملُ على ترسیخ مكانةِ الإماراتِ عاصمةً للتسامح والتعايش الإيجابي.. وتأكيدِ إسهامها في تحقيقِ تقاربٍ حقيقيٍ بين الثقافاتِ لكي تبقى دولتنا دائمًا صاحبةَ الإسهامِ الأكثَر تأثيراً في إقامةِ وتفعيلِ حوارِ عالميٍّ يعينُ على إقرارِ أسسِ التفاهمِ بين الشعوبِ في مختلفِ ربوعِ العالمِ على اختلافِ أفكارِهم وتنوعِ ثقافاتهم»⁽¹⁾.

(1) <https://www.alittihad.ae/article/801772018/>

ومن جانبه، قال صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولِي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة: «إن دولة الإمارات هي عنوان التسامح والتعايش والانفتاح على الآخر».

وقد بات جلياً للجميع أن قيم التسامح والأخوة الإنسانية قد أصبحت مكونات رئيسة للشخصية الإماراتية وخطابها الاجتماعي والثقافي والسياسي والإنساني، بما يكرس ما عُرف به المجتمع الإماراتي من إرث أصيل في السماحة والسلام والتنوع الثقافية والانفتاح والتعايش مع الغير، رسمَّ جذوره المغفور له -بإذن الله- الشيخ زايد والقادة المؤسسين الأوائل.

ما بعد «وثيقة الأخوة الإنسانية»

د. يوسف الحسن (الإمارات)

ما بعد «وثيقة الأخوة الإنسانية»

تابع العالم بشغف وأمل «المبادرة الفذة الإماراتية» لتعزيز ثقافة الحوار بين أتباع الديانات والمعتقدات المعتبرة وترسيخ مفاهيم التسامح واحترام التنوع الإنساني، والعيش المشترك بين الشعوب، وعد التنوع الثقافي والتعددية الدينية سنة كونية وأية من آيات الله في خلقه. لقد فتحت «وثيقة الأخوة الإنسانية» والتي صدرت عن لقاء قداسة بابا الفاتيكان، والإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف صفحة جديدة من الحوار الإسلامي / المسيحي بشكل خاص، وال الحوار بين أتباع كنائس مسيحية أخرى ومعتقدات معتبرة بشكل عام. وهو الحوار القائم على مبدأ (لتعارفوا) و(تعاونوا) على الخيرات والمسؤولية وعمارة الأرض، وحماية كرامة الإنسان، وهي قيمة أسبق من كل انتماء، أو هوية حضارية، وهي حسانة أولية للإنسان ثابتة له بوصفه إنساناً كرمه خالقه وجعله خليفة في أرضه.

إن احتضان الإمارات لهذا اللقاء وصدر وثيقة أبوظبي للأخوة الإنسانية هو رسالة واضحة بأننا في الإمارات كدعاة خير وسلام ورحمة عازمون على مواصلة الجهود لنشر ثقافة التسامح في العالم، وترجمة مضمون هذه الوثيقة بنوداً وروحاً إلى حقائق على الأرض وواقع بين الناس وبخاصة بين الأجيال الشابة والتي لم يصل الحوار الإسلامي / المسيحي إليها خلال العقود الماضية، بل ظل يراوح بين النخب.

في كلمته المميزة أمام قمة الحكومات التي عقدت في دبي قبل أيام، كشف سمو الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية، عن عدد من المبادرات التنفيذية التي تتوى القيادة الإماراتية القيام بها؛ لترجمة الوثيقة إلى حركة فاعلة على الأرض وبين الناس، من بينها تأسيس «صندوق زايد العالمي للتعايش» لدعم مبادئ هذه الوثيقة

وتقعيلها، ومن خلال مبادرات دولية وفى قطاعات التعليم والثقافة والمعرفة والتنمية الاجتماعية، والبحوث الأكاديمية والترجمة، وتشكيل فريق دولى لرعاية الوثيقة ونشرها فى العالم، وبرامج مبتكرة للشباب، لتعزيز ثقافة التسامح، فضلاً عن بناء (بيت العائلة الإبراهيمية) فى جزيرة الماتاحف السعدويات.

لقد فتحت هذه الوثيقة التاريخية الأبواب أمام كنائس مسيحية أخرى، أرثوذكسية وبروتستانتية، وطوائف مسيحية أخرى، لتتضمن إلى هذه الوثيقة وتشيرها بين أتباعها ومجتمعاتها، وبخاصة أن لهذه الكنائس مؤسساتها ومجالسها ومؤتمراتها المعنية بالحوار بين الأديان الحية. ومن ثم فإن امتداد تأثير هذه الوثيقة والتفاعل معها فى مجتمعات هذه الكنائس غير الكاثوليكية ضرورة قصوى، وهى كنائس لها دورها المؤثر فى دوائر صناعة القرار والرأى العام كدور البروتستانتية فى أمريكا والدول الإسكندنافية وعواصم شمال أوروبا، والأرثوذكسية فى موسكو وإسطنبول وأثينا وقرص ومالطة وغيرها، وكذلك الحال مع الكنائس الشرقية العربية، وتعقد منذ سنوات مؤتمرات دولية دينية لوضع شرعة دولية للتفاهم بين الأديان، وعلى غرار صيغة ميثاق الأمم المتحدة وإنشاء منظمة دولية للأديان تديرها لجنة تنفيذية على غرار مجلس الأمن الدولى.

ومن الضروري الأخذ بالاعتبار المتغيرات الديموغرافية العالمية الراهنة؛ فاليسجحية اليوم ليست هي ديانة الرجل الأبيض الغربى وحده وإنما هي ديانة الفقراء والملونين في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وحيث يشكلون نحو ثلث عدد المسيحيين في العالم، وكذلك الأمر ينطبق على المسلمين، حيث يعيش أكثر من ثلث عددهم في مجتمعات غير مسلمة، مسيحية وهندوسية وبوذية وخلافه، في أوروبا والهند وإفريقيا وروسيا والصين وغيرها. وهذا يعني أن التسامح واحترام التنوع والتعدد هو ضرورة للعيش المشترك وسلام ووئام في هذا العصر، والبديل هو الصراع والاقتتال والكراهية الجماعية.

ومن وحي تجربتي في الحوار الإسلامي / المسيحي خلال العقود الأربع الماضية، فإن مبادرات الحوار كانت تأتى على الأغلب من الغرب المسيحي، وكانت تحاول القفز من فوق الكنائس المسيحية العربية، بوصفها تابعة للكنائس الغربية، ولمفاهيمه وقيمته وموروثاته، وكان هذا الاستبعاد يسبب خلاً في الندية الحوارية، ومن ناحية أخرى،

فإن إقدام المحاور المسلم إلى الحوار كان في جله يميل إلى السياسة اليومية واسترجاع ذاكرة الحروب والصراعات في التاريخ، وفي مراحل متأخرة يركز الحوار على الدفاع عن النفس، وتهم عدم احترام حقوق الإنسان والمرأة، وعن ظاهرة الخوف من الإسلام. إن العيش المشترك للمسلمين مع الآخر المغاير، سواء أكان في الوطن العربي أم مع الآخر المغاير في المجتمعات غير مسلمة، ليس مجرد ضرورة حياتية بل هو أيضاً ممارسة إيمانية فيها اكتشاف للذات وفهم موضوعي للآخر وإدراك واع للقواعد والتحديات المشتركة ومن ثم الاحترام المتبادل والعيش الواحد المشترك.

إن الاحترام المتبادل نتيجة ضرورية من نتائج الاعتراف بالاختلاف، فلكل أهل دين ومعتقد خصوصياتهم الدينية والثقافية، والأصل أن يكون تصرف أهل الأديان جميعاً مراعياً هذه الخصوصيات حريصاً على حفظ حرمة أصحابها، كافلاً لهم حقهم في العبادة والتعبير المشروع عنها. ولا شك أن معيار النزاهة الفكرية هو في مقدمة المعايير التي تؤسس لصدقية الحوار، فضلاً عن أن الحوار يستدعي اطلاعاً جيداً على تراث الآخر من مصادره وتعريفاته لذاته..

نحتاج إلى تأسيس «مؤسسات ومنابر حوارية مشتركة» نشطة وفعالة، ومبادرات حوارية للشباب، تتيح للمشاركين التعرف إلى الآخر، بعيداً عن الشكوك والهواجس المتبادلة، والتزام مبدأ الانصاف، وإتاحة الفرصة لمراجعة الصور النمطية المشوهة عن الآخر، ولبناء الثقة وإقامة علاقات صداقة ومودة، والبناء على مبادئ وثيقة الأخوة الإنسانية.

إن الحوار النافع المستدام هو حوار «الحياة» لا حوار «اللاهوت» ولا حوار «الدعوة أو التبشير».

في التسامح الديني والسياسي والأخلاقي

د. رياض نعسان آغا (سوريا)

في التسامح الديني والسياسي والأخلاقي

ثمة حكمتان أثرتا في تكوين وعيي في سن اليافاعة، الأولى لأفلاطون، حيث يقول: (إذا أردت أن تظهر خصمك، ازدّ فضلاً في نفسك) وأما الثانية، فهي لأبي الطيب المتنبي، حيث يقول:

(وما قتل الأحرار كالعفو عنهم)

(ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا)

وأحسب أن قول أفلاطون يجسد حالة خاصة في التسامح بناها على قهر الخصم عبر السمو في النفس فوق الخلاف، والترفع عن الخوض في دوائر الانتقام، فخصمك الذي يتشهى أن يراك تسقط في هوة من الفشل والضعف والإخفاق، تشتعل نفسه ضيقاً بما يراه من نجاحك وتألقك، فماذا لو مددت له يوماً يد العون وأبديت له تجاهل ما بينكما من خصام؟ فإن فعلت فقد دنوت مما يراه المتنبي قتلاً معنوياً، لأنك بالعفو والتسامح قد سمعت وعلوت وتركت خصمك يشعر بفداحة ما فعل، ولا بد من فهم المعنى الدلالي لكلمة (الأحرار) فلن يقدر معنى العفو من لا يمتلك شهامة الأحرار، ويترفع عن الرضوخ لذل العبودية المستكينة.

وفي البعد الأخلاقي الذي يشير إليه المتنبي بيدو اللؤم نقضاً لسلوك الحر، حيث يقول في البيت التالي:

(إذا أنت أكرمت الكريم ملكته)

(وإن أنت أكرمت اللئيم تمراً)

فإن الإكرام ضائع عند من لا يعرف قدره ومعناه، ويبقى العقاب ضرورة لمن لا يرعوي، وقد أبدع المتنبي في التفريق بين الحالتين حين قال:

(وَوَضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا،

مُضِّرٌ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى).

ولايكون العفو أو التسامح فضيلة إلا عبر اقترانهما بالقوة والمقدرة، فتسامح الضعيف مع القوي الغالب أقرب إلى أن يكون إذ عان للقوة الغالبة، فأماماً إذا استوت القدرتان فذاك أقرب إلى العدل، وأماماً إن كان المسامح أشدّ قوة وأعلى مقدرة فذاك هو الرحمة التي تسمى على العدل، ولذلك كان العفو من شيم الكرام.

ولئن كان التسامح في اللغة محدداً بالغفو واليسير والتساهل فقد حدده اللغويون في المعاجم خشية الإسراف في الفهم بأنه

(لَا تَصَالَحْ مَعَ الْعَدُوِّ مَا دَامَ عَدُوًّا) فشرط التسامح إنهاء العداوة، وكذلك يفسرون التسامح الديني (في احترام عقائد الآخرين)

ولقد عاشت البشرية قروناً طويلاً بعيدة عن مفاهيم التسامح، فقد كانت المجتمعات تقرّ العبودية، وتقسم البشر إلى طبقات، ففي العهد الإغريقي وفي الحضارة الهلنسية كان المجتمع طبقات أعلىها شأنأً طبقة المواطنين ثم الغرباء، ثم المعقدين ثم العبيد، وأكثر فلاسفة اليونان كانوا يقررون هذا التمييز، وكذلك الأمر في حضارة الرومان، فقد أقرت القوانين تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات، وكان السيد يقرر لعبد حق الحياة أو الموت، حتى جاءت ثورات العبيد صرخة قوية في وجه المستبددين، لكن الرومان أصرروا على الطغيان ووضعوا قانوناً خاصاً بالأمم التي كانوا يستعمرونها، كيلا يكون لأهلها حق المواطننة الرومانية، ولم تستطع المسيحية السمحاء أن تغير الكثير من طغيان البشر، فقد دخل الاضطهاد الديني في فترات طويلة ليجعل الموت عقوبة لمن يخرج عن مذهب الإمبراطور، ولا ينسى التاريخ محاكم التفتيش التي أزهقت أرواح الملايين.

ولم تكن البيئة العربية بعيدة عن التأثر بهذه البيئة العالمية المستبدة، رغم انتشار مكارم الأخلاق فيها، لكن العبودية كانت موجودة، وكان الرق عرفاً تاريخياً عند البشرية،

حتى جاء الإسلام فجفف ينابيعه عبر قوانين صارمة تعلن المساواة بين البشر، فلا فضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح والتقوى.

وقد حددت وثيقة المدينة المنورة مفهوم الأمة، بأنه ليس رباط دين أو عقيدة، وإنما هو رباط عيش مشترك، ففي مطلع الوثيقة نقرأ ما أقره النبي محمد -عليه الصلاة والسلام-: (هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس).

إن هذا التحديد لمفهوم الأمة غير مسبوق في قوانين البشرية، وتعد الوثيقة (أول دستور) بالمفهوم المدني، وهي وثيقة دفاع مشترك، بنيت على التسامح الديني والقبلي، حيث كان أهل يثرب مختلفين في عقائدهم وأعرافهم وبينهم مشركون، فضلاً عن وجود أهل الكتاب من اليهود ومن النصارى.

ومع أنني أبرئ الإسلام في نصوصه وقيمه من اتهامه بالعدوان على عقائد الآخرين، أو الاعتداء عليهم وأحكامه معلنة ومعروفة، لكنني لا أبرئ كل المسلمين في تاريخهم عبر أربعة عشر قرناً وقفت فيها انتهاكات يدينها الإسلام ذاته، والمفجع أن أشدها كان بين المسلمين أنفسهم، فقد استخدم بعضهم الإسلام ستاراً لهم، أو حاولوا توسيع جرائمهم عبر تفسيرات فسارية لنصوص دينية أرادوا فهمها كما يريدون، وما نزال إلى اليوم نعاني من الفهم الخاطئ لنصوص الإسلام، ومن الفهم القاصد لتشويه الإسلام، فكل التنظيمات المتطرفة التي تعادي المسلمين والبشرية كلها، تتحلل ما يسوغ جرائمها، وتزعم أنها تدافع عن الإسلام وتتحدث باسمه، ولكنها في الحقيقة تشهو الإسلام، وتقدم خدمة عملية لمن يريدون تقديم الإسلام على أنه دين يحض على القتل، والإرهاب.

إنه لا يخفى على أحد أن الفتوحات الإسلامية التي انطلقت في عهد الخلفاء الراشدين كانت في البدء لتمكين الدولة الناشئة في الجزيرة العربية وتوسعها، ثم لتحرير العراق من الاحتلال الفارسي، وببلاد الشام، والشمال الإفريقي من الاحتلال الروماني، ولنشر الدعوة الإسلامية بما حدده كتاب الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يجر أحد على اعتناق الإسلام قسراً، فالنص القرآني واضح (لإكراه في الدين) وفي القرآن الكريم عدد من الآيات تؤكد هذا المعنى.

لكن أعداء الإسلام سارعوا في الانقضاض عليه من داخله في ذرورة قوته، فكان التفرق والتشتت وظهور العديد من الحركات السياسية التي اتخذت من الدين ذريعة للخروج على وحدة الأمة، فوقيع الفتنة التي ما نزال ندفع ثمنها حدث فيها من اقتتال وفوضى، ولأننا نخشى أن يستمر هذا الصراع فلا نجد له نهاية، ونخاف أن تفرق الأمة في أوحاله، ولا نريد الرد على الإساءة بإساءة مثلها، كيلا يصبح المستقبل مثل الماضي تاريخاً من الإساءات المتبادلة، فإننا نجد الحل الأمثل هو استعادة روح التسامح والغفو والتفاهم، وإقامة الحوار الحكيم الباحث عن الاعتدال والاستقرار.

ولا يمكن للتسامح أن ينجح بين المتخالفين ما لم يكن متبادلاً، وأن يقوم على استعادة الحقوق وترميم ما استبيح منها، وعلى مفاهيم العدالة الانتقالية التي تضمن لكل صاحب حق حقه، وتؤسس لميثاق وعقد اجتماعي يقوم على العدالة والمساواة وإلغاء أي تمييز بين البشر.

وفي الشأن السياسي وعلاقتنا السياسية والمدنية مع الآخرين، لابد لنا ولهم من تجاوز أخطاء التاريخ، وأجد في التواصيل الكبير الحاصل بيننا وبين الغرب اليوم، فرصة واسعة لإرساء التصالح والتسامح بعد خمسين عاماً ونيف من انتهاء المرحلة الاستعمارية التي طال أمدها في منطقتنا، وقد عبر العرب عن حرصهم على هذا التسامح في كل البلدان التي خضعت للإمبراطورية الأوروبية، ومثال ذلك حرص سوريا ولبنان والجزائر وتونس على إقامة أفضل العلاقات مع فرنسا فور إعلان الاستقلال، وحرص مصر والسودان وعدد من البلدان العربية التي حكمها الإنكليز على توطيد العلاقة مع بريطانيا، ولا توجد أية مشاعر سيئة لدى العرب ضد الغرب، وقد طالبت، ذات يوم، في ندوة رسمية في باريس، بأن نوطد مشاعر التسامح بيننا وبين فرنسا (وكانت الندوة تبحث مستقبل العلاقات بيننا) وأن نتجاوز ما حدث منذ الحروب الصليبية التي سماها العرب المسلمين (حروب الفرنجة) كي يستبعدوا الدين منها، فقال لي أحد المثقفين الفرنسيين: (عليكم الاعتذار عما فعل عبد الرحمن الغافقي في بواتيه) قلت : نعم، وعليكم كذلك الاعتذار عما فعل فيليب الثاني ثم لويس التاسع وما فعل الجنرال غورو مطلع القرن العشرين، ولكن من الأفضل أن نقول معاً ما يقول القرآن الكريم: (تلك أمة قد خلت) وأن نؤسس مستقبل جديد، يتتجنب استعادة صراعات التاريخ.

لقد شاركت أمتنا في كل حوارات الثقافات (شاركتنا في حوار مع الصين والهند واليابان وإيران والاتحاد الأوروبي، وإفريقية وعدد من دول آسيا الخارجية من الاتحاد السوفيافي، وقد عقدنا هذه الحوارات بمشاركة عدد كبير من وزارات الثقافة العربية، وباسم الجامعة العربية، وكان ذلك ردًا على ما سمي (صدام الحضارات) وأعتقد بأننا نجحنا في تقديم صورة مشرقة عن استعداد الأمة العربية والإسلامية لقبول ثقافات العالم، وقد جاءت هذه المشاركات عربية الشكل والمضمون. وكان الآخرون يخاطبوننا يوميًّا باسم أمة

ولقد خاضت عدة دول عربية غمار العولمة في تجلياتها الفكرية والثقافية والاقتصادية، وحسبنا نموذجاً ناصعاً ما قدمته دولة الإمارات التي أصبحت نموذجاً يحتذى في الانفتاح على الثقافات الإنسانية، بل أصبحت المثال الأجدود على تجليات الحداثة العمرانية والاجتماعية في العالم كله، دون أن تقعد هويتها وخصائصها الثقافية.

ولئن كنت تحدثت عن التسامح في الدين وفي السياسة عبر هذه العجالات، فإن صلب موضوع التسامح أخلاقي بحت، ولابد لي من الإشارة إلى موقف أخلاقي استثنائي نعيشه اليوم، في قبول الآخر لثقافتنا العربية واعترافه بها، وهو ذاك الاستقبال الإنساني الجميل لآلاف من اللاجئين العرب، وجلهم من السوريين الذين تشردوا وخاضوا البحار المتوسط رغم مخاطر الغرق، وقد غرقآلاف منهم، لكن من وصلوا إلى شواطئ الأمان الأوروبيّة وجدوا إنسانين كباراً ينتظرونهم، ويسارعون إلى معونتهم، ويفتحون لهم الملاجيء، ويقدمون لهم ما يحتاجون إليه من مساكن ومدارس ومشافي، ومن مستلزمات الحياة، لا أحد يمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، ومن الحفاظ على خصوصياتهم الثقافية.

لقد حدث مثل هذا الاستقبال الحافل لللاجئين يوم تدفقت الهجرات من آسيا وأوروبا على بلاد الشام وعلى مصر التي وفد إليها هاربون من الحرب الأولى ثم من الثانية، وكثير منهم جاءوا من دول البلقان، مثل يوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا، وبعض القادمين كانوا يهوداً فروا من ملاحقة هتلر، وأما بلاد الشام فقد تدفق إليها عدد ضخم من الأرمن والشركس وسواهم كثير، حتى إن أحد أهم أحياء دمشق ما يزال يحمل اسم حي المهاجرين.

وقد أشرت إلى هذا الاحتواء الإنساني المتبادل، لأنه من صنع الشعوب التي سرعان ما تجمعها مشاعر الإنسانية الموحدة، وهي قائمة على مفاهيم التسامح والتواجد وعلى سلسلة من القيم النبيلة التي هي مشتركة إنساني نبيل.

لقد كانت مبادرة دولة الإمارات في عقد قمم عالمية للتسامح، وعقد التعايش المشترك سبيلاً للتغيير المجتمعات، ريادة في العمل الإنساني والسياسي معاً، واستباقاً لما ينفي أن يؤسسه المجتمع الدولي، لإنها الصراعات، ودفع الحوارات والتي هي أحسن، وجعل العقل والحكمة منهlein رئيسين لحل المشكلات المتفاقمة دولياً، وهذا هو جوهر العمل السياسي الرشيد.

إن العالم المتواتر اليوم، يعيش على فوهـة بركـان عـبر تصـعيد مـخيف لـلتـناـفـس العـسـكـريـ، مما يـعـيـد إـلـى الأـذـهـان صـرـاعـات

(الـحـرب الـبـارـدـةـ) وهـي القـابـلـة لـلـاشـتـعـال فـورـاً، ولا نـجـاة لـلـبـشـرـيةـ من حـمـاـقـةـ التـنـافـسـ فيـ التـطـوـرـ العـسـكـريـ الفتـاكـ، سـوـىـ الدـخـولـ الـأـرـحـبـ فيـ عـالـمـ التـسـامـحـ الـأـخـلـاقـيـ وـالـدـيـنـيـ وـالـسـيـاسـيـ، وـحـلـ القـضـاـيـاـ الـكـبـرـىـ عـلـىـ موـائـدـ الـحـوـارـ بدـلـ حـلـهـاـ الـدـمـوـيـ فيـ سـاحـاتـ الـقـتـالـ الـذـيـ تـدـفعـ الشـعـوبـ فـيـهـ مـلـاـيـنـ الـأـرـوـاحـ الـجـديـرـةـ بـالـحـيـاـةـ، وـحـسـبـ الـبـشـرـيةـ ماـ ذـاقـتـ مـاـ وـيـلـاتـ الـحـرـوبـ، وهـيـ إـنـ حدـثـ الـيـوـمـ أوـ فيـ الـمـسـتـقـبـلـ إـنـ طـاقـاتـهاـ التـدـمـيرـيـةـ سـتـفـوقـ مـاـ حدـثـ فيـ التـارـيـخـ كـلـهـ.

أخـيراً أـذـكـرـ بـقـاعـةـ أـخـلـاقـيـةـ شـهـيرـةـ تـقـولـ: (فـلـنـتـعـاـونـ فـيـمـاـ نـتـفـقـ حـولـهـ، وـلـيـعـذـرـ بـعـضـنـاـ بـعـضـاـ فـيـمـاـ نـخـتـلـفـ فـيـهـ) وـالـخـتـلـافـ سـنـةـ مـنـ سـنـنـ الـحـيـاـةـ، قـالـ تـعـالـىـ: (وـلـوـ شـاءـ رـبـكـ لـجـعـلـ النـاسـ أـمـةـ وـاـحـدـةـ وـلـاـ يـزـالـونـ مـحـتـلـفـيـنـ إـلـاـ مـنـ رـحـمـ رـبـكـ وـلـذـلـكـ خـلـقـهـمـ).

أفشووا التسامح بينكم

أ. علي عبيد الهاجري (الإمارات)

أفشووا التسامح بينكم

يوم الأول من شهر يناير من كل عام، يفتح أغلب الناس هواتفهم المتركرة ليجدوا سيلًا من رسائل التهنئة بالعام الجديد؛ رسائل ليس فيها كفر بالله ونعمه، ولا دعوات بالموت والهلاك على عباد الله، وإنما أمنيات بأن يكون العام الجديد عام خير وسلام ومحبة وبركة عليهم وعلى البشرية جماء.

أعترف بأنني لست من الذين يردون بشكل منتظم على رسائل الصباح والمساء وأيام الجمعة التي يرسلها الأصدقاء، ليس ترفا ولا استعلاء وإنما انشغالاً. لكنني في اليوم الأول من العام الجديد وجدت أنه من غير اللائق أن لا أرد على رسائل التهنئة، خاصة وأن بعضها من أصدقاء لا يرسلون إلا في مثل هذه المناسبة وغيرها من المناسبات الدينية والاجتماعية والأعياد. لذلك بدأت في الرد عليهم، وأرسلت تهنئة إلى المجموعات التي يفضل بعض الأصدقاء بضمي إليها، وأخرجل من الخروج منها تقديرًا من أضافتي، وكيف لا يفوتي شيء من المفيد الذي يتضمنه الكثير منها، رغم أنني نادرًا ما أشارك في الحوارات التي تجري بين الأصدقاء عبرها.

في إحدى المجموعات التي أرسلت إليها، وقبل أن يجف حبر رسالتي، وعذرًا لاستخدام هذا المصطلح الذي لم يعد له مكان الآن بعد أن أصبح كل شيء إلكترونياً، وجدت أحد الأعضاء يرسل مقطع فيديو من أحد برامج الفتاوي، يتصل فيه أحد المشاهدين بالبرنامج مبتدئًا بالسلام، فيرد عليه مقدم البرنامج والشيخ الذي يجيب على أسئلة المشاهدين: «عليكم السلام ورحمة الله». يقول المتصل: «مساكم الله بالخير». يرد المقدم: «حياتك

الله». يقول المتصل: «كل عام وأنتم بخير إن شاء الله». تسود فترة صمت قصيرة، يقول بعدها المقدم: «تفضل.. سؤالك؟». ولكن قبل أن يطرح المتصل سؤاله يتدخل الشيخ قائلاً: «يا أخي هذا ليس له أصل؛ أن تهنيء بالعام. تهنيء بالعيد.. عيد الأضحى أو عيد الفطر. هذا الذي تهنيء فيه. أما العام فلا يهناً فيه. هذا لم يرد».

فهمت مغزى الرسالة التي أراد العضو أن يرسلها لي ولغيري من الذين سبقوني بالتهنئة، أو الذين يفكرون بإرسال تهنئة بعدي، وفكرت بالرد، غير أنني تراجعت في اللحظة الأخيرة كي لا أفتح جدلاً أعرف مسبقاً أنه لن يؤدي إلى نتيجة. أمسكت بالصحف التي أمامي فوجدت عنوانها الرئيسية تتحدث عن تهنئة صاحب السمو رئيس الدولة ونائبه، وأصحاب السمو حكام الإمارات لقادة الدول الأخرى بالعام الجديد. عدت إلى يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من العام الذي انقضى فوجدت صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولـي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، يهنيء الأخوة المسيحيين بعيد الميلاد المجيد، ويتمنـى لهم الخير والسعادة والأمان في كل أنحاء العمورة، ويقول في تدوينة له عبر حساب سموه الرسمي في تويتر: «من أرض التسامح والمحبة والتعايش.. نهنى المسيحيين بعيد الميلاد المجيد، متمنـى لهم الخير والسعادة والأمان في كل أنحاء العمورة، ليعم السلام بين شعوب العالم. تعزيـز قيم التسامح نهج أصيل في دولة الإمارات، إيماناً منـا بأنـها منـ أـهم ركائز تـقدمـ الأمـمـ وتحـضـرـها على مرـ العـصـورـ». ثم قـلتـ: هل يمكنـ أنـ يكونـ زـمـيلـناـ، عـضـوـ المـجمـوعـةـ الـذـيـ أـرـسلـ الرـسـالـةـ الـمـوجـهـةـ، عـلـىـ صـوـابـ وـقـادـتـاـ وـنـحنـ جـمـيـعاـ عـلـىـ خـطـأـ؟ـ

تأملت مرة أخرى تاريخ اليوم فوجـدتـهـ الأولـ منـ شهرـ يـنـايـرـ منـ العامـ الـذـيـ أـعلـنهـ صـاحـبـ السـمـوـ الشـيخـ خـلـيفـةـ بنـ زـاـيدـ آلـ نـهـيـانـ، رـئـيـسـ دـولـةـ الإـمـارـاتـ الـعـرـبـيـةـ الـمـتـحـدةـ «ـعـامـاـ لـلـتسـامـحـ»ـ يـرـسـخـ دـولـةـ الإـمـارـاتـ الـعـرـبـيـةـ الـمـتـحـدةـ عـاصـمـةـ عـالـمـيـةـ لـلـتسـامـحـ، وـتـأـكـيدـ قـيـمةـ التـسـامـحـ باـعـتـبارـهاـ عمـلاـ مـؤـسـسـياـ مـسـتـدـاماـ مـنـ خـلـالـ مـجـمـوعـةـ مـنـ التـشـريعـاتـ وـالـسـيـاسـاتـ الـهـادـفـةـ إـلـىـ تـعمـيقـ قـيـمـ التـسـامـحـ وـالـحـوارـ وـتـقـبـلـ الـآـخـرـ، وـالـانـفـتـاحـ عـلـىـ الثـقـافـاتـ الـمـخـلـفةـ، بـمـاـ تـنـعـكـسـ آـثـارـ الـإـيجـابـيـةـ عـلـىـ الـمـجـتمـعـ بـصـورـةـ عـامـةـ، مـعـتـراـ أـنـ عـامـ التـسـامـحـ هـوـ اـمـتدـادـ لـ «ـعـامـ زـاـيدـ»ـ كـوـنـهـ يـحـمـلـ أـسـمـيـ الـقـيـمـ الـتـيـ عـمـلـ مـؤـسـسـ دـولـةـ الـمـغـفـورـ لـهـ بـإـذـنـ

الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، على ترسيختها لدى أبناء الإمارات، مؤكداً أن التسامح قيمة أساسية في بناء المجتمعات واستقرار الدول وسعادة الشعوب.

تأملت كل هذا واسترجعت ما فعله بنا التشدد والتزmet وإقصاء الآخر، وكيف أن التطرف يبدأ بمثل هذه الأشياء، التي نظن أنها صغيرة، والتي تكبر مثل كرة النار حتى تتحول إلى مواقف عدائية من الآخرين، تتكون على أثرها الجماعات المتطرفة التي تتخذ من العنف أسلوباً للإعلان عن نفسها وتحقيق أهدافها، فتصبح بذلك عنواناً للإرهاب في نظر العالم أجمع. هذا هو ما حدث في البداية مع كل الجماعات المتطرفة التي ظهرت في بعض المجتمعات والبلدان، وتحولت بعد ذلك إلى منظمات إرهابية، مثل «القاعدة» و«داعش» في المجتمعات الإسلامية، ومثل «كو كلوكس كلان» في المجتمعات المسيحية، ومثل جماعة «أمناء جبل الهيكل» و«حركة كاخ» المتطرفتين في المجتمعات اليهودية، وغيرها من الجماعات والمنظمات المتطرفة المنتشرة في بلدان العالم المختلفة التي تتخذ من العنف وسيلة لتحقيق أهدافها، وتنتشر الذعر والخوف في كل مكان، خاصة في التجمعات التي يحتفل فيها الناس بأعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية، وتدفع البعض إلى الاعتراض على جملة من أربع كلمات هي: «كل عام وأنتم بخير».

إعلان دولة الإمارات عام 2019 «عاماً للتسامح» يعكس النهج الذي تبنته الدولة منذ تأسيسها في أن تكون جسر تواصل وتلاقي بين شعوب العالم وثقافاته في بيئة منفتحة وقائمة على الاحترام ونبذ التطرف وتقبل الآخر. لذلك نتمنى على الذين يحاولون أن يحيدوا بنا عن هذا النهج أن يتخلوا عن أفكارهم هذه، وأن يكفوا عن إرسال مثل هذه الرسائل إلينا، وأن يفشوا التسامح بينهم كي تصفو قلوبهم لآخرين، وتصفو قلوب الآخرين لهم.

التسامح والتعددية الثقافية

د.غانم جاسم السامرائي (العراق)

التسامح والتعددية الثقافية

رغم أن التعددية الثقافية في المجتمعات الإنسانية كانت قد ظهرت بهيئتها الراهنة بشكل جليّ منذ أواخر القرن السادس عشر، فإن اصطلاح التعددية الثقافية لم يظهر في الأدب السياسي إلا في وقت متأخر نسبياً.

فقد استخدم للمرة الأولى في كندا في عام 1965 لوصف منهج مميز في التعامل مع قضية التنوع الثقافي، وفي أستراليا أوائل السبعينيات.

لكن بروز هذا الاصطلاح في الجدل السياسي على نطاق أوسع لم يكن بشكل واضح إلا في تسعينيات القرن الماضي، خصوصاً بعد شيوخ ظاهرة المهاجرين وما صاحبها من ردود أفعال صدرت من أحزاب ومنظمات فاشية وعنصرية تبنّت مواقف متشنجّة من الآخر.

والتجددية الثقافية ميدان للجدل الفكري أكثر مما هي أيديولوجية بحد ذاتها.

وبهذا الميدان يأتي نطاق واسع من الآراء حول دلالات التنوع الثقافي - وخصوصاً حول كيفية تضمين الاختلاف الثقافي في إطار الوحدة المدنية - ولهذا يكون المفهوم الرئيس لهذا التنوع هو التجددية في إطار الوحدة.

إن الموقف التجددوي يوحّي إذا بالدعم الإيجابي للتنوع المجتمعي القائم على حق المجموعات الثقافية المختلفة في الاعتراف بخصوصياتها الثقافية والاحترام. وبهذه الطريقة، فإن هذه التجددية تعرف بأهمية الأفكار والقيم وطريقة الحياة في التأسيس للشعور بقيمة الذات سواء على صعيد الأفراد أو المجموعات.

ويمكننا هنا أن نجمل المفاهيم الأساسية التي تؤسس لموضوعة التسامح، وهي:

1. التنوع في إطار وحدة المجتمع

2. سياسة الاعتراف بالأخر

3. الثقافة والهوية والتمييز الإيجابي

4. التنوع

5. التسامح

6. إشاعة الثقافة

وهذه المفاهيم تهيئ الأذهان لتعريف التسامح على أنه «امتلاك القدرة على احترام أفكار ومشاعر وممارسات الآخرين مع التركيز على ضرورة وجود الرغبة في قبول السلوكيات والأراء المختلفة عن آرائك وموافقك».

وهذا موقف موضوعي عادل تجاه أولئك الذين تختلف أساليب حياتهم عن أسلوبك في الحياة. خصوصاً أن الدراسات الحديثة قد أشارت إلى أن درجة التسامح التي تسود في مجتمع ما تؤثر إيجاباً في مستوى السعادة والرضا التي يتمتع بها الفرد والمجتمع على السواء.

وإذا ما نظرنا إلى هذه الحقيقة من زاوية عملية فإننا نستدل على هذا المفهوم الإيجابي من خلال فحصنا لمنظومة المشاعر والمفاهيم التي يشتمل عليها نقىض التسامح.

لنأخذ مثلاً حجم الآثار النفسية الخطيرة التي تتولد، لدى الفرد ولدى المجتمعات،

عن:

1. الكراهية

2. البغضاء

3. الحقد

4. الانغلاق الفكري

5. الانحياز

6. التعصب

7. الطائفية

ناهيك عن الآثار المدمرة حينما تترجم هذه المشاعر إلى سلوكيات يقود بعضها حتماً إلى صراعات مسلحة وحروب واسعة النطاق، نرى كثيراً من نتائجها المروعة كل يوم، خاصةً في وطننا العربي.

وعلينا أن نؤكد هنا أن التسامح ليس معناه قبول الظلم والاحتلال واغتصاب الأرض، فهذه كلها لا تستقيم مع مفهوم العدالة ولا مع منظومة القيم الإنسانية التي تشيد بمبادئ احترام الآخر وصون كرامته وصيانة حقوقه.

إنما نتحدث هنا عن ثقافة التسامح التي هي بالتأكيد ليست طارئة على مجتمعنا وتقاليدنا.

ال الحديث هنا يركز على تعميق قيم التسامح وال الحوار وتقبل الآخر والافتتاح على الثقافات المختلفة بما ينعكس إيجابياً في بناء المجتمعات واستقرارها وسعادة شعوبها.

إن التسامح قيمة أخلاقية نكتسبها بشكل عفوي لكنها بحاجة لصقلها، فلا يمكننا أن نتسامح في خضم ما نراه في عالم اليوم ما لم يتكرس جهدنا من خلال عملية تدريب وتأصيل في حياة الأفراد والمجتمعات.

ويمكن هنا أن نشير إلى أهمية التعليم في بناء ثقافة التسامح. وحسبما يؤكّد ألكسندر سولجيتسن فإن التعصب هو أولى علامات الجهل، كما إن الشخص الذي يفتقر للتعليم المناسب يتصرف بحمقابة وتكبر في حين ينمّي التعليم فضيلة التواضع.

من ناحية أخرى، تؤكّد الكاتبة الأمريكية هيلين كيلر أن التسامح إنما هو أعلى ثمار التعليم.

ويبدو أن جورج واشنطن كارفر يقتبس من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما يدعو إلى فضائل الأخلاق التي تعلمناها نحن المسلمون منذ أربعة عشر قرناً فيقول «عليك

أن تكون رقيقاً مع الصغير ومتعاطفًا مع كبار السن والقراء ومتسامحاً مع الضعفاء والمخطئين فربما كنت يوماً ما كلّ أولئك.»

دعونا نرتقي بثقافتنا وتعليمينا كي نرتقي بثقافة التسامح.

التسامح الثقافي

أ. محمد عبدالله نور الدين (الإمارات)

التسامح الثقافي

كان إعلان عام 2019 م عاماً للتسامح امتداداً لعام زايد، لكون المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- كان رمزاً للإنسانية وقيمها النبيلة وأهمها التسامح، فكانت حكمة زايد في موافق لا تعد ولا تحصى تدعوا إلى التسامح بين الجميع، بوصف أن جميع من على الأرض من البشر أخوة في الأصل، لذا فإن ثقافة التسامح يجب أن تسود بين البشرية كي يعم السلام والأمن جميع أرجاء المعمورة، وأما في هذه العجلة فإني لست بصدور التحدث عن ثقافة التسامح فقط، وإنما عن التسامح الثقافي أيضاً، ففي هذا العام يجب أن يعي المثقفون أولاً أن سماء الثقافة تسع جميع النجوم لذا يجب إلا يحتكر المثقف المنابر الثقافية وفعاليتها وم propriétaireها لنفسه، ويقصي الآخرين بأية حجة كانت.

أما ثانياً، فيجب أيضاً لا يظن أن هناك فئة من المثقفين وهناك فئة من العامة، فالإنسان مهما كان مستوى فهمه فإنه مثقف وجزء من الثقافة، لذلك يجب ألا نمارس فعل «الاغتيال الثقافي» على الآخرين بأي وجه من الوجوه، فالأطفال -على سبيل المثال- ومن وجاهة نظري الشخصية، قد اغتيلوا ثقافياً من خلال التلقين الإجباري لأجل تعليمهم، ومن خلال منعهم من الإبداع الأدبي لكون مهارات الكتابة أو الفكر لم تتضمن لديهم لصغر سنهم.

وثالثاً، يجب أن يكون هناك تصالح ثقافي وتسامح بين الأجناس الأدبية؛ حيث يلاحظ أن الأجناس الأدبية الجديدة مثل كقصيدة النثر تجد حملات عدائية في الوسط الأدبي

منذ عقود لإقصائهما وعدم الاعتراف بها أو وصفها دخيلة أو أجنبية، وهذا الأفق الضيق ظاهرة غير صحية، ولا تمثل أدنى قيم التسامح المطلوبة بين الأجناس الأدبية.

وأخيراً فإن التسامح بين اللغات أصبح واجباً في هذا العصر بعد افتتاح آفاق التواصل، فأصبحت الثقافات المختلفة تنهل من بعضها الأفكار، وتتلاقي حضارتها في ظاهرة جديدة لم تكن بهذه السرعة والسهولة عبر التاريخ، لذا فإن الحفاظ على الهوية والتراص يجب ألا يكون سداً لمعاداة الآخرين، بل يجب أن يكون باباً لترويج تراثنا وهويتنا في مقابل تقبل اختلاف الآخرين وتشابههم معنا، فالبشرية كما هو معتقد عند شعوب كثيرة تتطرق من عقل واحد، وعليه فإني أرى أننا ماضون اليوم بأفكار جماعية مختلفة نحو فكر كوني واحد بفضل هندسة التواصل البشري الذي يعم تأثيره يوماً بعد يوم لإزالة شوائب التطرف من الفكر الإنساني، وإرساء قيمة التسامح بين البشر بغض النظر عن أي تمييز.

وفي هذا السياق وجوب قبل كل شيء تعريف مصطلح المثقف كي يعرف الدور الملقى على عاتقه أو الدور الذي يجب أن يتحمله في ترسیخ القيم الإنسانية في المجتمع، و كنت أقصد بالمثقف، اصطلاحاً، كل شخص راشد في المجتمع متأثر بثقافته العامة، ويحمل هويته الخاصة، أي أنه لا أقصد النخبة التي تتسلح بثقافة عميقة في تراث الإمارات وقدرة على استيعاب الثقافات المتأثرة بها من شتى بقاع المعمورة في زمن تفتح آفاقه على جميع المستويات. لذا فإن الشخصية التي يراها الآخرون ويعدون هويته محلية فإن عليه مسؤوليات المجتمع الذي تشرب منه، وأصبح متأثراً بأسلوب العيش من الملبس والمأكل وأسلوب التفاعل والتواصل من خلال اللهجة والمنطق وأسلوب التفاعل من خلال التعامل مع الآخرين، وهنا يأتي أهمية الفرد في المجتمع، بغض النظر عن مستوى ثقافته بالنسبة إلى الآخرين، فالفرد العادي يعد فرداً مشابهاً للفرد المثقف في منظور الآخرين، ويتوقع منه ما يتوقع من أي شخص آخر، لذلك فإنه يتحمل المسؤولية أيضاً، وما ترسیخ القيم على مستوى كامل المجتمع ولمدة عام كامل إلا للتتأكد على أن الجميع يمثلون بتصرفاتهم الجزء الذي ينتمون إليه من المجتمع.

وحيث إننا في هذا المقال معنيون بالشعراء، فإن ثقافة التسامح التي تسود المجتمع

/ القصيدة يجب أن تبدأ من التسامح الثقافي بين أفراد المجتمع / الشعراء، وعليه فإن القصيدة التسامحية من الصعب أن تنشأ من الشاعر غير الواعي بقيم التسامح، لذا فإن من الأولى أن يتسامح الشاعر مع نفسه في البدء كي يستطيع أن يقدم قصيدة تحمل قيم التسامح؛ لتكون القصيدة في النهاية رسالة تسامح إلى المجتمع. فقيم التسامح في القصيدة تكون مزاجاً من تفاعل في أعلى مستويات الشعور والتفكير، ويجب على الشاعر إلا يطلق أحکاماً استقرائية أو أفكاراً رجعية أو نزعات قبلية أو ينجرف نحو التشدد والتمييز أو إقصاء الآخر بأي شكل من الأشكال؛ لأن ذلك ليس فقط وسيلة لعلاج آفات المجتمع، وإنما باب يستطيع منه الشاعر الولوج إلى آفاق الأدب الإنساني.

تأملات حول نزعات الخير في الشعر العربي

د. محمد عبد القادر سبيل (السودان)

تأملات حول نزاعات الخير في الشعر العربي

الشعر ديوان العرب، هذا النعت يعني بالنسبة إلى أن الشعر «مؤسسة» العرب الأولى، فلقد كان يقوم بدور المنظمة العامة أو الدائرة الرسمية في زمان المشفاهة واللا تنظيم، ولابد أن التوثيق وعملية الإعلام والتاريخ والبروباغاندا التي كان يقوم بها القصيد هي من شأن المؤسسة اليوم، وما يهمنا في هذه القالة من الوظائف الجسمانية التي كانت تؤديها مؤسسة الشعر؛ إشاعة قيم العرب الرفيعة (مكارم الأخلاق) من أجل تكريسها قانونا عاماً متوافقاً عليها لحماية الفرد والمجتمع، الشعر كان يقوم بهذا، ينشر الفضائل بين العرب، ويروج لها في محافلهم وأسواقهم الكبرى، كعكاواذ في الجاهلية والمرد في الإسلام.

شيم صخر الندى

ولعل من أهم أبواب الشعر وأغراضه التي أشاعت قيم الخير والنبل، ودافعت عنها بصورة مباشرة وإيحاءً : المديح والرثاء والفخر، وهي أغراض احتفت بالقيم السامية أكثر مما أثبتت على أصحابها، ولا نقول ذلك إلا لأن قيمة المدوحين أو المرثيين أو المفترخين بأنفسهم إنما هي مستمدّة من مكانة هذه القيم في نفوس العرب وجبلتهم.

سألت فوراً هنا إلى الخنساء «تماضر بنت عمرو السلمية» التي بالغت في البكاء على أخيها صخر ونظمت فيه مراثي ظلت معلقة في قلوب العرب عبر الزمان. ولقد كان أخوها عماداً لقبيلة برمتها، بعد أن ظل مدخراً لسداد كل ثغر من ثغور الحياة وحاجاتها وفيه مقدمتها الدفاع عن الحياض والعرض، «فاعل خير بمعنى الكلمة».

كم جسد صخر الأمثلولة في الندى والكرم، خاصة بالنسبة إلى خناس، فرغم أنه ابن أبيها فقط إلا أنها جزعت موطه أكثر مما فعلت لموت أخيها الشقيق معاوية، والسبب هو ما اتصف به صخر من أخلاق الفرسان، بذلاً ووفاء وحكمة ومواساة للمحتاجين، ومثل «صخر الندى» يستحق البكاء عليه مدى الحياة، ولذلك أذن الفاروق عمر بن الخطاب خلال خلافته حينما التقاهما، بأن تواصل الشاعرة حدادها على أخيها وترييه أبداً، لأن في نعيه نشراً واحفاء بأعلى صفات العرب مرتبة؛ الشهامة والنبل والكرم ونصرة الضعيف، وبالقيم الإنسانية الخيرة التي ما تزال البشرية تنادي بها، ولذلك فكلما أشرقت شمس صباح من صباحات تماضر تذكرت على الفور ذلك الوجه الوضيء المبشر بالخير، كالشمس تنقشع بها الظلمات فتناثر الأرزاق على الناس والحيوان والنبات جميعاً: «يذكرني طلوع الشمس صخراً؛ وأذكره لكل مغيب شمس» فهو رجل به تشيع السعادة والحياة في النفوس جميعاً، عندما كان يطلع على الناس يوماً، كيف لا:

وَإِنْ صَخْرًا لَتَاتَمَ الْهُدَاةُ بِهِ
كَانَهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
نَحَّارُ رَاغِيَةٍ مُلْجَأُ طَاغِيَةٍ
فَكَالْعَنَيْةِ لِلْعَظِيمِ جَبَارٌ

وَمُطْعِمُ الْقَوْمِ شَحَمًا عَنْدَ مَسْغِبِهِمْ
وَفِي الْجَدُوبِ كَرِيمُ الْجَدِّ مِيسَارٌ
طَلُقُ الْيَدَيْنِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَجَرِ
ضَخْمُ الدَّسِيْعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَارٌ
وَقَالَتْ أَيْضًا فِي شِيمِ الْخَيْرِ الَّتِي حَازَهَا صَخْرٌ:
نَعَمْ الْفَتَى كَانْ لِلْأَضِيافِ إِذْ نَزَلُوا
وَسَائِلٌ حلَّ بَعْدَ النَّوْمِ مَحْرُوبٌ
كَمْ مِنْ مَنَادٍ دَعَا وَاللَّيلُ مَكْتُنُعٌ
نَفَسَتْ عَنْهُ حِبَالُ الْمَوْتِ مَكْرُوبٌ

فكته ومقال قلته حسن

بعد المقالة لم يؤبن بمكذوب.

للله درك يا خناس، كم احتفيت بالقيم العظيمة والشرف والسماحة فبقيت كلماتك
دررًا في قلوب العرب.

زهير الحكمة والتسامح

من منا لم يسمع بحرب داحس والغبراء، بين قبيلتي عبس وذبيان في جاهلية العرب؟
فلقد كانت حرباً ثاربة متطاولة، حصدت من أرواح الخلق ما حصدت، إلى أن قبض الله
لها خيراً وقع في نفوس عقلاه القبيليتين، فاحتكموا إلى رجلين صالحين من كليهما هما:
هرم بن سنان والحارث بن عوف، اللذان قاما بما يجب من أعمال البر والإحسان فهدأت
النفوس بوفاقهما في أبهى صور التسامح والتسامي فوق الإحن والمحن والجرahات، ولعل
هذا مما دعا الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى، صاحب المعلقة الشهيرة التي مطلعها «
أمن أم أوضى دمنة لم تكلم.. بحومانة الدراج فالمثلّم» لأن يقول خيراً وفيراً- وإن من
الكلام لخيرا - في حق الرجلين الصالحين هرم والحارث إذ قال مخاطباً عبساً وذبيان:

يَمِينًا لِنَعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبِرَّمٍ
تَدَارَكْتُمَا عَبِسًا وَذَبِيَانَ بَعْدَمَا
تَفَانَوَا وَدَفَوَا بَيْهُمْ عَطَرَ مَشَمٍ
وَقَدْ قَلْتُمَا إِنْ نُدِرِكَ السَّلَمَ وَاسِعًا
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمٍ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلَيْهَا مَعْدُودٌ هُدِيَّتُمَا
وَمَنْ يَسْتَبِعْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمٌ

وفي الحقيقة فقد قام هذان السيدان بعمل كبير، وقدموا درساً كبيراً وتاريخياً في التسامح، حين وضعت الحرب الشعواء أوزارها بموجب اتفاقهما التاريخي، ولذلك كان لزاماً على رجل خير وحكمة مثل زهير أن يوثق لهذا العمل الجليل ليبقى أسوة حسنة لكل العرب، كيف لا؟ وهو شاعر العقل الذي يكتب بتؤدة عواصم في الحكمة حتى تستفرغ القصيدة بين يديه سنة كاملة، انتقاءً وسبكاً وتهذيباً، ولذلك سمي بشاعر الحوليات.

العرب أعلت في الحقيقة من شأن هذا الشعر الأخلاقي الذي يؤرخ ويوثق لقيم الخير ضمن ثقافتها، ولذلك جعلت هذه القصيدة بالذات، من بين كل حوليات زهير جميراً، واحدة من العلاقات السبع، التي رفعت على أستار الكعبة المشرفة قبل الإسلام، تعظيمها وتشريفها للقيم التي حوتها وكرستها وأهمها قيمة التسامح والعفو والتعافي.

وفي الواقع فإن زهيراً لم يكتف بالاحتفاء بصنيع سيدى عبس وذبيان: هرم بن سنان والحارث بن عوف، ولكنه احتفى بمن ارتضى بهما حكماً وارتضى ما خلصا إليه، بعد أن تحمل السيدان تكاليف الدييات التي بلغت ثلاثة آلاف قتيل وأكثر.

والأهم من ذلك كله أنه احتفى بمحارم الأخلاق ودعا إليها في صورة مثلى من صور الوصايا المضيئة، يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته ذاتها:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلُ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمٍ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيَذْمَمُ
وَمَنْ يُوْفِ لَا يُذْمَمُ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبَهُ
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّجِمُ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمَّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَئٍ مَنْ خَلِيقَةٌ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ
لِسَانُ الْفَتَنِ نَصْفُ وَنَصْفُ فُؤَادِهِ
فَلَمْ يَقِنْ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ.

أقوال زهير هذه سارت بها ركبان العرب أمثلاً وحاماً يرجع إليها الناس في كل حالة من صروف الدهر، ومن منا لم يردد قوله: (وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم.. وما هو عنها بالحديث المرجم)

وهكذا فشيم التسامح والخير تبقى أبداً بين الناس، مادام مثل هذا الكلام باقياً بينهم مبجلاً.

كعب يحتفي بالتسامح

كعب بن زهير بن أبي سلمى، شاعر مخضرم نظم قصائد في الجاهلية وأنشد قصيدة محل حديثنا هنا بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي قصيدة يحفظها أو يحفظ بعض أبياتها كثير من عشاق الأدب، يقول في مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ
متيم إثرها لم يفد مكبولُ

لعل مما أكسب قصيدة «بانت سعاد» صيتها ذائعاً أنها أنشدت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنها كانت سبباً في حصول الشاعر على العفو النبوى وعلى بردة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - التي خلعها عليه بنفسه إكراماً وتقديرأ لما جاء فيها من معان سامية روجت لرسالة الإسلام السمحاء وللأخلاق الكريمة بأحسن الصور، فانداح خبرها بين قبائل العرب وتغنى بها المؤمنون في كل مكان، حتى أنها سميت قصيدة «البردة» الشريفة، ومن ميزات القصيدة أنها تساق مثلاً على أن الإسلام لم يحرّم الشعر، بل لم يمنع استهلال القصيدة باللغز، الأمر الذي درجت عليه العرب من قبل.

وإن من وجوه الخير التي روجت لها قصيدة كعب بن زهير، ذلك الاحتفاء الكبير بقيم التسامح والحلم الذي هو العفو عند المقدرة، مما أبرز في الوسط الشعري ثقافة جديدة من خلال نص اعتذاري تاريخي رصين يقول فيه رضي الله عنه:

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمولٌ

لقد سرد الشاعر أجواء مشحونة بالخطر والقابلية للموت في أية لحظة، وعلى الرغم من ذلك فهو يأمل في دون يأس من خلال ثقته في فضيلة التسامح التي تضمن الحياة لكل منهم بحق أو بدون حق.

ولكن وجه الذكاء في التماس العفو من جانب سيدنا كعب يتمثل بجلاء في تشفعه بخصال النبي الكريم التي هي من قيم الإيمان أصلًا... كعب بن زهير سجل هذا شعرا، واحتفى به وتشفع قائلاً:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَأُ بِهِ
مُهَنْدٌ مِّنْ سُبْوِفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي فِتْيَةٍ مِّنْ قُرْيَشٍ قَالَ قَاتِلُهُمُ
بَيْطَنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

هكذا سامح أهل مكة حين قال لهم يوم فتحها: «ما تظنون أني فاعل بكم، فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم»، فما خيب ظنهم وهو من وصفه ربه جل وعلا بأنه على خلق عظيم -صلى الله عليه وسلم- فرد عليهم بقوله الذي حفظه التاريخ، ورضيه الله فوق سبع سموات، ثم رضيه الناس في كل مكان وزمان: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وهم الذين قاتلوه وأخرجوه من داره وأهله يهيم بين كهوف الجبال إلى أن أبلغه ربه تعالى مأمنه، وممكن له دينه وأظهره على الدين كله، وما تزال دعواه تتعدد في الآفاق، وتختفق بها القلوب المؤمنة في مشارق الأرض وغارتها.

أي حلم وتسامح وحسن خلق فوق هذا

التسامح رديف الكرم

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

وَلَا تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ
فَمَا يَفِي النَّارَ لِلظَّمَآنِ مَا

هذا البيت الشهير مقتطف من قصيدة بد菊花 للإمام الشافعي، أحد أئمة المذاهب الأربعة عند المسلمين، وهو شاعر بلغة لا يشق له غبار.. فما أصدقه وما أصدق بيته الذي يجعل السماحة وكرم الأخلاق من جنس كرم البذل العطاء! فكلاهما مجاهدة نفس وسعة في الصدر ومحبة للخير.

وفي هذا المعنى يحكى أن أعرابياً قدم على معن بن زائدة وهو أمير على العراق، وكان الأعرابي قد سمع الشيء الكثير عن كرم معن وحلمه فأراده أن يبلوه. فلما قدم إليه أخذ يذكره بما كان عليه من فقر وقلة ما في اليد، قبل أن تحسن حاله بالإمارة فقال:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة
وإذ نعلاك من جلد البعير؟

فقال معن المعروف بالحلم والكرم: أذكر ذلك ولا أنساه، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً
وعلّمك الجلوس على السرير

فقال معن: سبحان الله. فقال الأعرابي:

فلست مسلماً إن عشت دهراً

على معن بتسليم الأمير

قال معن يا أخي العرب، السلام سنة وهذا شأنك.

فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها

ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: إن جاورتنا فمرحباً بك وإن رحلت فمصححوباً بالسلامة. فقال الأعرابي:

فجُدْ لي يا ابن ناقصة بشيء
فإنني قد عزمت على المسير

فقال معن أعطوه ألف دينار يستعين بها في حياته. فقال الأعرابي:

قليل ما أتيت به وإنني

لأطعم منك بالمال الكثير

قال معن أعطوه ألفاً آخر، فأخذه وقال:

سألت الله أن يبقيك ذخراً

فما لك في البرية من نظير

قال معن أعطوه ألفاً آخر، فقال الأعرابي:

يا أمير جئت مختبراً حلمك، لما باغني عنه، فقد جمع الله فيك من الحلم ما لوقسم على أهل الأرض لكتافهم.

فقال معن: يا غلام أعطه على نظمه ثلاثة آلاف، وعلى نشره مثلها.

مما سبق نلمس بوضوح أن مفهوم التسامح رديف الجود، وهو يتمثل في السخاء المعنوي، وهو أقوى تأثيراً من العطاء المادي، شريطة أن يتراافقا، فالحلم عطاء والصبر على الناس عطاء، والعدل وقول الحق عطاء عظيم، به تحفظ الذمم وتحقن الدماء وتضمن الحقوق ومن ثم تصان الحياة برمتها في ظل كرامة الإنسان وسلامته.

إن البذل في العمل والمالي والمعاملة، عفواً وصبراً وتسامحاً، كل ذلك كما يبدو حزمة واحدة تسمى صفة الكرم؛ فالكرم إنما هو أصلاً كريماً نفس، وكريم النفس لا يمكن إلا أن يكون مفهماً في مكارم الأخلاق التي تجلي النقوس، وتكسبها الصفات الحميدة؛ صفات الخير.

هل نتعلّم من «جوجل» التسامح؟

أ. محمد الجلواح (السعودية)

هل نتعلّم من «جوجل» التسامح؟

- رحم الله أمير الشعراء، أحمد شوقي، الذي صدح ذات قصيدة بقرار حاسم نافذ
كان (في زمانه) آية، فقد قال عن الصحافة (في عصره):

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضِيَ آيَةٌ
وَآيَةٌ هَذَا الزَّمَانُ الصُّحْفُ

وليسح لنا أستاذنا الشاعر الكبير (أبو علي) أن آية زماننا هذا لم تعد الصحف،
بل آيات كثيرات عديدات، منها محرّكات البحث العجيبة التي تجلب المعلومة من شرق
الأرض وغربها بكل لغات الأمم، وألسنتهم ولهجاتهم المحلية والعالمية دون عناء، ودون
تكلفة مادية، وبسرعة فائقة، وفي كل وقت، ليلاً ونهاراً، وبحالة مريحة وأنيقة وأمنة، وغير
ذلك من الميزات القيمة، وأهم من ذلك كله أنها بحيادية تامة، والصفة الأخيرة هي التي
يقوم عليها صلب المقال.

وأعجب تلك المحرّكات وأشهرها هو محرك (جوجل) المدهش حقاً، ذو المميزات
الجمّة والخدمات المتعددة، الذي يزّ كل المحرّكات الأخرى التي تشتراك معه في غالب
السمّات الآنفة الذكر.

ومن دهشاته أنه محرك في بطنه محرّكات، فأنت مثلاً حين تبحث فيه عن كلمة
(جوجل) نفسها.. ستخرج لك روابط عديدة عن (جوجل) في كل أصقاع الأرض، ومن
تلك الروابط تتفرع آلاف الروابط!

ومن محامد (جوجل) العظيمة..أنه يقدم لك المعلومة أي معلومة تتشدّها بمنتهى الحيادية، ولا يُفْرِق بين شخص وآخر، ولا بلد وآخر، ولا دين وآخر، ومذهب وآخر، ولا قوم وقوم، وأمة وأمة، ورفع أو وضع، ولا جنس بشري عن جنس آخر، ولا غير ذلك مما لم يذَكُر.

إن هذه الميزات (الجوجلية) المتأحة للجميع دون استثناء لم يرفضها أو يتحفظ عليها لحسن الحظ أحد من الناس أبداً، بِرِّهم وفاجِرِهم، مُطِيعِهم وعاصِيمِهم، لِيَنْهُمْ وقاسيِّهم، بل إن أشرارِهم في كل مكان استغلوا هذه الميزة بكل أسف لتنفيذ جرائرِهم في البحث عما يسندُهم في شرورِهم.

أي أن هذا المحرك قد عَلِمَ الناس بما يُقدِّم من خدمات معرفية أن يكونوا سواسية فعلاً، فهو لم يرفض أي معلومة معينة، طالبُها حتى لو كانت ضد معلومة أخرى طالب آخر. بل إنه يرشدك إلى محرك بحث آخر (زميل له) إذا لم تتوافر لديه تلك المعلومة المطلوبة، يعني (ما يقول لك: اقلب وجهك عنِّي هذِي غير موجودة عندِي)!

انثالٍت هذه السطور وأنا أقرأ استطلاعاً صحفياً عن إحدى الولايات الهندية الجنوبيَّة، حيث الطالب (الهنودسي) الشاب، يسأل زميله (السيخي) عن أصل مفردة محلية بحثة يتم تداولها في تلك الولاية فقط، وهل هي من أصول اللغة (السنسكريتية) المنتشرة في الولاية، أو أنها من بقايا لهجة قديمة؟، وهي: (سياداتميلاكانا)، ومعناها: (المثابة/ الصبر) فلم يجد (السيخي) بُدًّا من البحث عنها في (جوجل)، لكنه استَّهْنَرَ زميله للغد حتى يلتقي زميلهما محمد أشرف (المسلم) الذي يملك وحده جهاز الحاسب للتواصل مع الإنترنت، وهذا ما كان. فالهنودسي يسأل السيخي، وهذا يسأل المسلم الذي بدوره يسأل (جوجل) فيفرح (جوجل)، ويُجِيب على الجميع من خلال سؤال المسلم دون تعرّقة.

فليت الناس مثلَك يا جوجل، وليتنا نتعلم منك التعايش والتصالح والتسامح والتعاون والإيثار وما يدور في هذا الفلك.

أهكذا يُؤُولُ بنا الحال في هذا الزَّمن التعيس أن ننادي بانتشار المحبة ونبذ العنف

والطرف وقبول الآخر، واجتناب العنصريات القبلية والمذهبية والطائفية والمناطقية والفتّوية، واستغلال الدين لتنفيذ جرائم الإرهاب والكراهية، وغير ذلك مما يدخل في هذا الإطار أمام هذه القيزارات التكنولوجية والعلمية الحديثة، ووسائل التواصل الشاسعة الهائلة المذهلة التي تشرق للبشرية كل صباح؟

إِنَّا لَا نُلَمِ إِذَا تَحْسَرُنَا كثِيرًا عَلَى أَيَّامِ السِّتِينِيَّاتِ وَالسِّبْعِينِيَّاتِ الْمِيلَادِيَّةِ الْمَاضِيَّةِ
الخالية من كل تلك المفردات السود السالفة، والمليئة بعكسها، وبكل ما هو جميل، فيا ليتنا
نعود لتلك الأيام التي تقطر مودة وتسامحا وبساطة ومعايشة..

وَمَا دَمْنَا نُعيِّشُ الْوَاقِعَ، وَاللَّهُوَظَةُ الْمُعَاصِرَةُ، فَيَا لِيَتَنَا نَتَعَلَّمُ مِنْ (جُوْجُل) كَيْفَ تُحَلِّقُ
فِي سَمَاوَاتِ الْمُحَبَّةِ وَالْخَيْرِ وَالْجَمَالِ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

بلد التواضع والتسامح

د. رفيعة غباش (الإمارات)

بلد التواضع والتسامح

هذا كان ردِي حين طلب مني أن أكتب عن التسامح: «نحن في مجتمع لم يكن يحتاج أن يرفع شعار التسامح؛ لأنَّه بطبيعته متسامح».

ثقافة التسامح ليست جديدة في مجتمعنا؛ إنها تمتزج بحياتنا الاجتماعية بشكل يومي، فمعظم تقاليدنا ترتبط بهذه الثقافة، بل هي في صلب تنشئتنا الاجتماعية والدينية؛ نقلاً عنها الآباء والأجداد، كقولهم «العفو عند المقدرة»، و«عفا الله عما سلف»، والمسامح كريم؛ وغيرها من الأقوال التي لها جذور دينية إنسانية عميقة، مدتها بأغصانها وفروعها في المجتمعات المختلفة، ظهرت بصيغ لغوية متعددة.

لا شك في أن ديننا الإسلامي الحنيف قد زخر بهذه التعليمات؛ إذ أثني سبحانه وتعالى على المتصفين بالعفو عن الناس وكظم الغيظ، وجعل تلك الصفة من الصفات التي يستحقون بها مغفرة الله وعفوه ودخول جنته كقوله تعالى: (... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأُجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) «سورة الشورى - 40»، وقوله تعالى في سورة البقرة الآية 237: (... وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَتَسَوَّفُ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

ولعل فتح مكة كان رمزاً إسلامياً مرشداً للجميع، مهماً في دلالة أحداته على العفو والتسامح حين يضرب لنا سيدنا رسول الله مثالاً في العفو عن قوم طردوه وحاربوه وعدبوا المسلمين من قبل، مطلقاً جملته الشهيرة التي ينبغي أن تصبح قانوناً إنسانياً عالمياً: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أعود لعام التسامح في الإمارات، حيث بينت أنه لم توجد - هنا، ومنذ القدم، وقبل

قيام الاتحاد، وحتى الآن- أي صراعات قائمة على الجنسية أو اللون أو المذهب؛ لأن شعبنا -بطبعه- متسامح، لكن يبدو أن قادتنا يستبقون أي ظواهر سلبية قادمة من الفضاء الإلكتروني؛ فالأمراض الفكرية بدأت تخترق كل أنواع المناعات، قادمة إلينا من كل الاتجاهات، وكان لا بد من وقفة جادة لمواجهة ذلك.

إذن، علينا أن نقر أن تدخل الدولة يحد من تلك الظواهر الغريبة، ويعالجها قبل أن تتحول إلى شيء خطير على المجتمع.

ذلك يثبت أن القيادة السياسية في الدولة لها رؤية عميقه جدا للأمور، وتعمل على تقديم نموذج للمجتمع العربي المسلم الذي تعايش داخله أكثر من 200 جنسية بتوأم وأمن.

التشريعات مهمة، لكنها قد لا تكفي، والأفراد -على اختلاف مشارب ثقافتهم- بحاجة إلى التدرب على ممارسة التسامح. وإن القوانين -التي فعلتها الإمارات في مجال التسامح- ترسخ للتربية وتهذيب تلك القدرة على احترام فكرة الآخر، وهو موضوع مرتبط بالعدل، ومرتبط كذلك بالرضا، ومن ثم بالإحساس بالسعادة. ويبقى أن نؤكد أننا -بالثقافة والتعلم- نعزز قيم التسامح لنستطيع الحفاظ على ما رزقتنا الله من هوية إنسانية حقيقة.

مساحات التسامح الإمارati

أ. عبد الله محمد السبب (الإمارات)

مساحات التسامح الإمارati

ترسيخاً لكون دولة الإمارات عاصمة عالمية تلتقي فيها حضارات الشرق والغرب، لتعزيز السلام والتقارب بين الشعوب كافة.. فقد أعلن رائد التسامح، صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة-حفظه الله وسدد خطاه- عام 2019م عاماً للتسامح: «إنَّ ترسير التسامح هو امتداد لنهج زايد، وهو قيمة أساسية في بناء المجتمعات واستقرار الدول وسعادة الشعوب.. وإنَّ أهم ما يمكن أن نغرسه في شعبنا هو قيم وإرث زايد الإنساني، وتعزيز مبدأ التسامح لدى أبنائنا».

على ضوء ذلك الإعلان السامي، فإنَّ أقل ما يمكن قوله بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة، هو الواقع الشاهد الحي على التسامح الإمارati بأبهى وأجمل وأصدق مظاهره وصوره.. انطلاقاً من مواد وبنود نص عليها دستور دولة الإمارات العربية المتحدة الذي تم التوقيع عليه من قبل حكام الإمارات في دبي في 18/07/1971م: (الباب الثالث: الحريات والحقوق والواجبات العامة).. مادة (25): جميع الأفراد لدى القانون سواء، ولا تمييز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل أو الموطن أو العقيدة الدينية أو المركز الاجتماعي. مادة (40): يتمتع الأجانب في الاتحاد بالحقوق والحرفيات المقررة في المواثيق الدولية المرعية، أو في المعاهدات والاتفاقيات التي يكون الاتحاد طرفاً فيها وعليهم الواجبات المقابلة لها.. ومروراً بشهاد حية وحيوية تؤكد مصداقية الدولة تجاه مبدأ التسامح واقعاً تطبيقياً:

(1) : في ديسمبر 2012م، افتتاح مركز التميز الدولي لمكافحة التطرف العنif

«هداية»، خلال انعقاد الاجتماع الوزاري الثالث للمنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب في أبوظبي.

(2) : في يوليو 2015م، أصدر صاحب السمو رئيس الدولة - حفظه الله - مرسوماً بقانون رقم 2 لسنة 2015 بشأن مكافحة التمييز والكراهية، وإثراء ثقافة التسامح العالمي، ومواجهة مظاهر التمييز والعنصرية، أيًّا كانت طبيعتها، عرقية، أو دينية، أو ثقافية.

(3) : وفي يوليو 2015م، أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية مبادرة تفاعلية للتراسل الإلكتروني «مركز صواب».. بهدف دعم جهود التحالف الدولي في حربه ضد التطرف والإرهاب.

(4) : في فبراير 2016م، ضمن التشكيل الوزاري الثاني عشر، تم تأسيس أول وزارة للتسامح في العالم.

(5) : في يونيو 2016م، اعتمد مجلس الوزراء البرنامج الوطني للتسامح، بهدف إظهار الصورة الحقيقية للاعتدال، واحترام الآخر، ونشر قيم السلام والتعايش.

(6) : بموجب القانون المحلي رقم 9 لسنة 2017م، لحكومة دبي، تم إطلاق المعهد الوطني للتسامح، متضمناً إطلاق جائزة تسمى جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للتسامح.

(7) : في يونيو 2017م، وجَّهَ صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولـي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بإطلاق اسم مريم بنت عمران، (أم عيسى) - عليهما السلام - على مسجد الشيخ محمد بن زايد في منطقه المشرف ترسيناً للصلات الإنسانية بين أتباع الديانات.

(9) : ولعل آخر تلك المستجدات في هذا الشأن، الزيارة الرسمية للبابا فرنسيس، ببابا الفاتيكان، في الفترة من 3 إلى 5 فبراير / شباط 2019 للمشاركة في ملتقى الحوار العالمي بين الأديان حول الأخوة الإنسانية، تلبية لدعوة سمو ولي عهد أبوظبي.

إضاعة:

(1) : لقد تمت الزيارة التاريخية إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، لكل من: فضيلة الإمام الأكبر الدكتور «أحمد الطيب» شيخ الجامع الأزهر الشريف، وقادسة البابا «فرنسيس» بابا الكنيسة الكاثوليكية.. بأمن وسلم، محققة ارتياحاً شعبياً وإشادة عالمية..

(2) : وقد كان من نتائجها توقيع البابا والإمام الأكبر على «وثيقة الأخوة الإنسانية» من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، التي صدرت عن «المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية» الذي ينظمها «مجلس حكماء المسلمين» في أبوظبي، برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولـي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة..

(3) : كما قام قداسة «البابا فرنسيس»، ببابا الفاتيكان، في اليوم الختامي لزيارته إلى الدولة بإحياء قداس بابوي بمدينة زايد الرياضية في أبوظبي، بحضور 180 ألفاً من المقيمين في دولة الإمارات وخارجها.

ابتسِم أنت في وطن التسامح

أ. أسماء صديق المطوع (الإمارات)

ابتسم أنت في وطن التسامح

التسامح هو تاج القيم وزينة الأخلاق، فهو إن اتصف به الفرد رفع قدره وزاد هيبيته وجعله قدوة لغيره، وإن عمّ مجتمعاً ألف بين القلوب، وأشاع الطمأنينة وحمى أهله من الفتنة، وقد عاش أهلاًنا في أرض الإمارات أرض التسامح والمحبة أعواماً طويلاً يقبلون الآخر ويرحبون بالغريب ويعفون عن المساء وهي كلها معانٍ مختلفة لقيمة التسامح ووسائل متعددة لتحقيقه. وورثت الأجيال التالية في الإمارات هذه القيمة التي صارت من صميم ثقافة الناس اليومية ودخلت وشكلت تركيبتهم السكانية وهويتهم الثقافية، فمن خلال عملية التنشئة سواء في الأسرة أو في المدرسة تم توجيهه وبرمجة أجيالنا وأجيالنا باتجاه المحبة والتفاعل بين كل الأفراد، ومن خلال البنية القبلية المبنية على التشاور والاحترام والتعاون بين أفراد القبيلة من جهة، وبينهم وبين أبناء القبائل الأخرى من جهة أخرى، تعمق الإيمان بنبذ التعصب وبحق الآخر في التعبير عن نفسه.

ثم مع حالة البناء والإعمار التي شهدناها من سبعينيات القرن الماضي وحركة التنمية الشاملة في بلادنا واستقطاب جنسيات مختلفة للمساعدة في عملية التطوير، انفتحنا افتاحاً إيجابياً وفاعلاً على ثقافات وأفكار مختلفة، انفتحنا بإيمان حقيقي أن الاختلاف يؤدي إلى استيضاح الصواب والتوصل إلى الحقائق الفكرية والثقافية، فكما تقول جورج إليوت «مسؤولية التسامح تقع على من لديه أفق واسع»، فقد كان نهج والدنا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- هو عدم الانحياز إلى أي صراعات، والتعامل مع الجميع على قاعدة من الأخوة الإنسانية ومد يد العون لغيرنا من الشعوب.

ومع وجود العديد من العادات والمعتقدات رسخت في عقول أهل الإمارات أن من شاركنا البناء يستحق تسهيل ممارسة شعائره، لم نعرف أي نوع من التعصب الديني أو إيمان مذهبى وظللت مظاهر التعصب في دول أخرى ظواهر نعرفها فقط عبر شاشات التلفزيون ونتحسن منها بثقافتنا المفتحة المرحبة بالجميع. فصار يعيش في الإمارات أفراد يمثلون أكثر من 200 جنسية ينعمون بالحياة الكريمة وبالاحترام، ولا تكاد تفرق بينهم وبين أهل البلاد إلا عبر نمط الرأي أو لغة الحديث.

وما كنا لننعم بهذا لولا توجه قيادتنا الرشيدة لترسيخ التسامح من لحظة تأسيس اتحادنا المبارك، فتسجّلت القوانين التي تؤكّد على المساواة وتجرّم الكراهية والعصبية وتحاصر أسباب الفُرقة والاختلاف، وتدفع كل من يعيش في الدولة باتجاه احترام الجميع فنصرنا أسعد شعب بفضل أفضل قيادة.

ولهذا لم يكن الإعلان عن أن عام 2019 سيكون عاماً للتسامح إلا حلقة في سلسلة طويلة فيها من التاريخ ومن الديموغرافيا ومن العادات ومن التقاليد ما أهّل الإمارات لأن تكون شريكاً أساسياً في اتفاقيات ومعاهدات دولية تؤطر لنبذ العنف والتطرف والتمييز، لنصبح بفضل من الله عاصمة عالمية للتسامح تلتقي عندنا حضارات الشرق والغرب ويتعزّز السلام ويتحقق التقارب بين الشعوب لدينا، ونقدم نموذجاً تنموياً عربياً إسلامياً أصيلاً ينافض ما يقدمه أعداء الإنسانية وصناع الكراهية وأصحاب خطاب العنف الذين ينصبون أنفسهم حكامًا على أفكار الناس وسلوكياتهم.

وأتمنى أن تتضمّن دول أخرى إلى نموذج الإمارات وأن تحذّي به وحسب ما قاله المهاجم الهندي غاندي «لا أحب كلمة التسامح ولكنني لا أجد كلمة أفضل منها».

شذرات في التسامح والسلام

وائل الجشي (لبنان)

شذرات في التسامح والسلام

من يتطرق إلى الكتابة في موضوع التسامح يشعر بأنه يخوض بحراً ما له ساحل، مع أن هذه الحروف المعدودة تخزل القيم الإنسانية جموعاً، وهي وجه طلق للسلام وسبيل إليه.

وخير استهلال لحديث التسامح قوله تعالى: «فاصفح الصفح الجميل» - سورة الحجر الآية 85، وفي الحديث الشريف «...أن تعفو عنمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك»، ولا بد من القول إن هذا هو نهج دولة الإمارات الذي اختره وأرسى دعائمه المغفور له - بإذن الله - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه -.

ومن الروايات الكثيرة عن تسامح الرسول - صلى الله عليه وسلم - قصته مع الرجل الذي أراد قتله؛ وذلك في غزوة الرقاع، حيث استراح النبي الكريم تحت شجرة بعد أن علق سيفه عليها، فاستغلّ رجلٌ من المشركين ذلك، فباغت النبي وأخذ سيفه على حين غرّة، ثم رفعه في وجه النبي وهو يقول: أتخافني؟ فقال النبي: لا، فقال الرجل: «فمن يمنعك مني». قال: الله، فسقط السيف من يد الرجل فأخذه النبي الكريم ورفعه في وجه الرجل، وهو يقول: من يمنعني منك؟ فقال الرجل: كن خيرآخذ، فلم يفعل النبي الكريم معه شيئاً وعفا عنه، بعد أن تعهد بأن لا يقاتل المسلمين أو يقف مع قوم يقاتلونهم، فجاء قومه وهو يقول: «جئتم من عند خير الناس»، وما تسامح النبي الكريم إلا امتداد لتسامح الأنبياء - عليهم السلام - قبله ومن أبرز القصص عفو يوسف عليه السلام عن إخوته.

ومضات شعرية

التسامح والسلام كانا هاجس الشعراً من العصر الجاهلي، وما هذه إلا ومضات من الشعر ومقطففات لعلها تشي بارتباط نزعة التسامح وحب السلام بنفسية وفكر الشاعر منذ غابر العصور.

هذا زهير بن أبي سلمى يقول:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المترجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

وتضر إذا ضررتها فتضمر

ويقول بشار عن التسامح:

فخذ من أخيك العفو وأغفر ذنبه

ولا تك في كل الأمور معاتباً

وفي صدر الإسلام هذا شاعر النبي حسان بن ثابت يضيء على إحدى خصال النبي صلى الله عليه وسلم - بقوله:-

عَفْوٌ عَنِ الزَّلَاتِ يَقْبِلُ عَذْرَهُمْ

وَأَنْ يَحْسِنُوا، فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ

ومن جميل ما قيل شعراً في ذلك أبيات الإمام الشافعي :

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحبي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات

ويلتفت صفي الدين الحلي متسائلاً:

أتطلب من أخ خلقاً جليلاً وخلق الناس من ماء مهين

فسامح إن تکدر ود خل فإن المرء من ماء وطين

وفي عصرنا الحديث يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

تسامح النفس معنى من مروءتها

بل المروءة في أسمى معانيها

تلخلق الصفح تسعد في الحياة به

فالنفس يسعدها خلق ويشفيها

وهذه الشاعرة نازك الملائكة تصرخ متعجبة في قصيدتها «أشودة السلام»:

فيم نقضي حياتنا في العدواتِ ونمضي السنين يأساً وحزنا؟

كيف ننسى أنا نعيش حياة الورد سرعان ما يموت ويفنى؟

ولعلهم كثiron، شعراء الإمارات، الذين تغنووا بهذه القيم، وأكتفي في هذا المقام باقتطاف أبيات للشاعر الدكتور شهاب غانم الذي يقول في مولد الرسول الكريم:

كان ميلادك العظيم ضياء

لجميع الدنيا فأنت الدليل

تشير العدل والمساواة فالفضل

إذا لم يكن لتقوى فضول

تنشر الحب والتسامح فالغفو عظيم له جزاء جزيل

وبقول الشاعر كريم معتوق :

فلنفترق

من أجل أن تختارنا الدنيا

حمائم للسلام

ومدينة خضراء تقرف التسامح

تكتب الغفران آيات على كتف الحمام

حكاية رمزية

كان صديقان يمشيان في الصحراء، وخلال الرحلة تجادل الصديقان، فصفع أحدهما وجه الآخر، فتألم المصفوع بالطبع لكنه لم ينبس ببنت شفة، وانحنى وكتب على الرمال: اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي.

استمر الصديقان في مشيهما إلى أن وجدوا واحة فقررا أن يستحما ، لكن المصفوع علقت قدمه في الرمال المتحركة وبدأ في الغرق، إلا أن صديقة أمسك به وأنقذه من الغرق. بعدما نجا الصديق من الموت عمد إلى قطعة من الصخر ونحت عليها: اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي.

لفت هذا الموقف انتباه الصديق الذي ضرب صديقه ثم أنقذه من الموت فسألة : لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال؟ والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟ فأجاب صديقه : عندما يؤذينا أحد علينا أن نكتب ما فعله على الرمال، حيث يمكن لرياح التسامح أن تمحو أثر الفعلة، لكن عندما يصنع أحد معنا معرفةً علينا أن ننحت على الصخر ما فعل معنا فلا تمحوه الرياح.

رواية تاريخية

من محاسن العفو أن الخليفة العباسى المأمون ظفر برجل كان يطلبه، فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه فقال الرجل : دعني يا أمير المؤمنين أشدك أبياتا فقال :

رَعَمُوا بِأَنَّ الْبَازَ عَلِقَ مَرَةٍ عَصْفُورٌ بِرَّ سَاقَهُ الْمَقْدُورُ
فَتَكَلَّمَ الْعَصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالْبَازُ مُنْقَضٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ
مَا بِيْ لَمْ يَغْنِي لِمَلِكٍ شَبْعَةٍ وَلِئَنْ أَكْلَتُ فَإِنِّي لِحَقِيرٍ
فَتَبَسَّمَ الْبَازُ مُدِلُّ بِنَفْسِهِ كَرَمًا وَأَطْلَقَ ذَلِكَ الْعَصْفُورَ
فَأَطْلَقَهُ الْمَأْمُونُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ.

هذه شذرات في التسامح والسلام، وإن كان الموضوع يستحق أكثر، لكنه جهد المقل ومحب التسامح.

نفحات السلام

أ. عبدالله محمد السبب (الإمارات)

نفحات السلام

في بداية كل عمل، وفي كل نظرة من نظرات الأمل، تطل علينا نفحات السلام، في جلسة من جلسات الكلام.
لذا..

فالسلام عليكم باسم الابتسamas والأمل، وباسم العواطف والعقل.
السلام عليكم باسم الأحساس والشجون، وباسم الآداب والفنون.
السلام عليكم باسم نيران الحرب الحارقة، وباسم الرصاصات الخارقة. باسم كل
كلمة نابعة من الداخل، لا شائبة عليها ولا دخائل.

السلام عليكم باسم ما بيننا من ترابط وتراحم وإخلاص ووفاء. باسم زمن ضاعت
فيه الابتسامة والأمل والرجاء، وباسم واقع انعدمت فيه الصلة بين الأرض والسماء.
باسم الصدق والإباء، وباسم صرخات الأطفال الأبراء.

السلام عليكم باسم نفحات السلام.. في دنيا عليها السلام، وفي زمن لا أمن فيه
ولا سلام. السلام عليكم باسم الأمل المفقود، وباسم نقض العهود، في زمن لا حياة فيه
ولا وجود. السلام عليكم بعدد حبات الرمال، وباختلاف قمم صخور الجبال، في زمن
اللاواقع واللاخيال.

السلام عليكم باسم ماضٍ شواهد حواضر الخيول، وباسم حاضر اللامنطق
واللامعقول، وباسم مستقبل في طي المجهول.

السلام عليكم باسم الكلمات المتقاطعة في زمن الاستكثار، وباسم المساحات الشاسعة في زمن الانكسار.

السلام عليكم باسم الدموع المراقة، وباسم الابتسامات المعاقة.

السلام عليكم باسم أمسنا المفقود، ويومنا الموجود، وغدنا الموعود. باسم النفس الأليمة، والبسمة الحزينة، والحرية الدفينة.

السلام عليكم باسم اللاحقيقة واللاوهم، وباسم اللاسعادة واللام. باسم العطش والجياع، وباسم الغربة والضياع.

السلام عليكم باسم دماء العذاب، وباسم الحق المتلاشي وسط الضباب. باسم الـ «أنا»، وباسم ضياع المنى. باسم فتون الهروب، والمشي في متأهات الدروب.. بمحض الإرادة والنفس، وباسم الفرار عن ضوء الشمس.

السلام عليكم باسم كل صدق واشتياق، وباسم كل معافي ومعاق. باسم السلام ونفحاته، والإباء وقبلاته. السلام عليكم باسم القوارير العجيبة، وباسم الأسرار الغريبة. باسم نقاط المحيط، وباسم كل ما يجري بنا ويحيط.

السلام عليكم باسم التناسي والنسيان، والتكميل والنقسان. باسم التكافل والحرمان، والتصارح والنكران. باسم الغربة والأمان، والخربفة في الأذهان.

السلام عليكم باسم الأحلام الحالة، والدموع الناعمة. باسم المستقبل الماضي، والحاضر الآتي. باسم الماضي القادم، والجسد النائم. باسم الابتسامات والأطفال، والدموع والأمال.

السلام عليكم باسم رب الوطن، وأقدار الزمن. باسم ثرثرة الضمير، ودموع القلب الصغير.

السلام عليكم باسم حروف الكلمات، وأمل الأمنيات، ورماد الابتسامات. باسم الواحد الأحد، الفرد الصمد، اللاوالد له ولا ولد.

السلام عليكم باسم النفس والولد والجد، وباسم الأمس واليوم والغد.

السلام عليكم باسم الخطف المتواصل، والأمن المتسائل، والجهول المتهاطل.

السلام عليكم باسم القلب الطاهر، والعقل القاهر، والحجر الظافر. باسم الهمس العائق، والصمت الحارق، والحجر الحارق.

السلام عليكم باسم البداية والختام، والنور والظلم. باسم الإخلاص في العمل، وباسم كل نظرة من نظرات التفاؤل والأمل.

السلام عليكم باسم الخليج العربي العريق:

لا نار تعيقه، ولا نائبات طريق..

ولا هجمات من عدو حاقد وصفيق، أو هفوات من جارٍ أو صديق أو شقيق.

حفظ الله خليجنا، من كل مكروه وحريق.

دور الشعر في السلام

د. شهاب غانم (الإمارات)

دور الشعر في السلام

هناك دور للشعر العربي في إعلاء قيم السلام معروف منذ الجاهلية. ولعل أشهر الأمثلة في الجاهلية هو معلقة زهير بن أبي سلمى عن حرب نتجت عن رهان سباق بين داحس فرس قيس بن زهير من قبيلة عبس والغبراء فرس حمل بن بدر الفزارى (أو أخيه حذيفة) من قبيلة ذبيان مع العلم أن عبساً وذبيان فخذان من قبيلة غطفان فهما أبناء عمومة وجرى غش في السباق، فقد أفزعت داحس فقد من خلال كمين ذبيانى. وأدى ذلك إلى حرب يقال إنها استمرت أربعين عاماً، وقتل فيها نفوس كثيرة من القبيلتين. ثم تحمل الديات لإحلال السلام هرم بن سنان والحارث بن عوف، وقد مدحهما زهير وخلد ذكرهما في معلقته الشهيرة ومنها:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المترجم

متى تبعثوها تبعثوها ذمية

وتضر إذا ضررتها فتضرم

فتعركم عرك الرحي بثقالها

وتلقي كشافا ثم تتبع فتئم

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم

كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتفعل لكم ما لا تفل لأهلها

قرى بالعراق من قفيز ودرهم

وقد تحدث الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم عمر بن معد يكرب عن الحرب وهو البطل الشهير في المعارك فقال:

الحرب أول ما تكون فتية

تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاءٌ جزّت رأسها وتنكرت

مكرهه للشّم والتقبيل

والسلام من أسماء الله الحسنى والقرآن الكريم يقول في الآية 25 من سورة يونس:
«الله يَدْعُونَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

ومع ذلك لا نجد تركيزاً في الشعر العربي منذ الجاهلية وحتى بداية العصر الحديث على السلام بل على البطولة والعزة والكرامة. يقول المتibi:

ومراد النفوس أصغر من أن

نتعادى فيه وأن نتقانى

بيد أن الفتى يلاقي المنايا

كالحات ولا يلاقي الهوانا

ويقول: عش عزيزاً أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

ولا شك أن مثل هذه القيم تغلغلت في طبائع الإنسان العربي عبر العصور.

عندما نأتي إلى القرن العشرين الذي عرف أعلى حربين عالميتين حصدت عشرات

الملايين نجد عدداً من الشعراء العرب المعاصرین يدينون الحرب ويحلمون بالسلام؛ فعلى سبيل المثال يقول الشاعر العراقي جميل صدقی الزهاوی في إحدى قصائده، وهو من عاصروا الحرب العالمية الأولى:

في الحرب لا تلقى من الفئتين من لا يخسر

وفي الحقيقة عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى خرج كثير من الشبان في بعض الدول الأوروبية يرقصون في الشوارع من الفرح، فقد كانوا يظنون الحرب فرصة لتسجيل البطولات والشهرة، وكانوا ينظرون إلى الحرب برومانسية بسبب ما كانوا يقرؤون عن الحروب في العصور الغابرة، ولا يدركون بالشكل الكافي أن الحرب في العصر الحديث تغيرت وأصبحت حرب خنادق وغازات سامة وطائرات.

وقد عُرف بعد الحرب العالمية الأولى عدد من الشعراء الإنجليز «بشعراء الحرب» وتقنوا في وصف بشاعة الخنادق وما سي الحرب ومنهم ولفرید أون وروبرت بروك وسيجفريد ساسون وبعضهم قتل في تلك الحرب.

يقول والدي د. محمد عبده غانم -رحمه الله- عن الحرب العالمية الثانية التي عاصرها:

إنها الهيجاء في عصر الترقى والتقدم

لم تعد كرا وفرا بل ديارا تتهدم
وصغارا تهجر الأوطان والعيش المكرم

ونساء تلبس الصوف على الجسم المنعم

وتخوض الغارة الشعواء كالجند المنظم

إنها الحرب وليس الحرب إلا النار والدم

ويقول الشاعر المصري محمود غنيم :

إن تكتبوا للسلم عهداً فاجعلوا

دمع الثكالى بالمداد مشوبا

صوغوه عدلاً للبرية شاملًا
وضعوا هلاً فوقه وصلبها
لن يستقيم لكم سلامٌ ماشها
شعب ضعيف حقه المضطرب

والبيت الأخير من هذا الكلام الموجه إلى الغرب ينطبق تماماً على القضية الفلسطينية،
لذلك ليس عجيباً أن نرى تلك السخرية السوداوية في قصيدة محمود درويش في قصيدهته
«خطاب السلام» الذي يبدو واضحاً من خلال القصيدة أنه يرد فيها على مشروع السلام
كما يسوقه قادة إسرائيل. ودرويش يقول في تلك القصيدة الطويلة التي كتبها بعد اتفاقية
كامب دافيد: «إن السلام المقام على الظلم ظلم».

ويقول الشاعر الإنجليزي هنري فان دايك في قصيدة قصيرة:

السلام بدون عدالة حالة متدنية
ولكن السلام مع العدل أمر عظيم
وكان المتنبي قد قال:
واحتمال الأذى ورؤيه جانيه
غذاء تصوی به الأجيام
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

يقول الشاعر الأفريقي من المارتينيك إيمي سيزار (1913 - 2008) وهو مؤسس
حركة «الزنجية» في الشعر الفرنكوفوني مع الشاعر الكبير ليوبولد سنغور رئيس السنغال
الأسبق في نهاية إحدى قصائده:

«على عكس ما يقول العنصريون، لا يوجد شعب يحتكر الجمال والذكاء والقوه فهناك
محل للجميع في ملتقى النصر».

في العصر الحديث ظهر دعاة مهمون للسلام مع العدالة؛ فغاندي مثلًا استطاع أن

يقود الهند إلى الحرية عام 1947 بعد كفاح طويل بالطرق السلمية، دون أن يضطر للجوء إلى الكفاح المسلح، وكان قدوةً لآخرين أمثال مارتن لوثر كنج ونسون مانديلا، والمفارقة أن لجنة جائزة نوبل للسلام رفضت أن تمنحه جائزتها بينما منحتها لإرهابي كان مطلوبًا للعدالة مثل مناحم بيجن.

والشاعر الياباني دايساكو إيكيدا الحائز على جائزة الأمم المتحدة للسلام، ونشر أكثر من مئة كتاب أغلبها عن السلام ومن ضمنها ديوان شعر، كنت قد ترجمته ونشر مشروع كلمة ترجمتي بعنوان «من أجل السلام». وإيكيدا عاصر الحرب العالمية الثانية ورأى منزل والده يدمر تماماً من قبل الطائرات الأمريكية مرتين وعاصر قبلي هيروشيمما ونيجازاكي ويقول في إحدى قصائده الطويلة عند استسلام بلاده:

15 أغسطس، 1945

اليوم الذي سقطت فيه الأمة اليابانية مهزومة

تحت قيادة قادة متغطرين وأغبياء،

يوم كان علامه بداية حقبة جديدة.

يوم بدأت فيه قلوب الشعب

تحقق بالفرح من جديد

نحو مستقبل جديد.

يوم توبة

يُذكر فيه كل القتل بدون هدف

على ساحات القتال

لكل الملايين الكثيرة..

الشعر والجمال والمحبة

أ.د. علي جعفر العلاق (العراق)

الشعر والجمال والمحبة

كنا، على المنصة، شعراء خمسة من بلدان مختلفة. وكان الحديث بيننا عن الشعر والسلام، على هامش مهرجان «أسكي شهر» الدولي السابع للشعر (بتركيا) في مارس 2017. حين جاء دوري للحديث وقف بيبي وبين كلمتي القصيرة، التي أعددتها للقراءة، هاجسٌ محزنٌ كاد يبعدني عن اللحظة التي كنت فيها.

الورقة وحدها لا تعني شيئاً. هكذا فكرت. ثمة بقية لحديث النفس تقع خارج السطور المكتوبة. وثمة جرح لا أجرؤ على دعكه لأنني لا أقوى على تحمل النزيف حين يندلع في أية لحظة.

ألا يبدو الأمر وكأنه مفارقة مثيرة للألام وللأسئلة حين يتحدث شاعر عراقي عن الشعر والسلام، وهو قادم من بلد يغرق كل يوم في آبار الدم والفجيعة؟

وبينما كان الجمال يملأ النهار كله، في هذه المدينة الرائعة، ويعبر عن نشوته الكبرى خارج القاعة، كنا نتحاور حول الشعر، وعلاقته بالسلام الذي يت渥ط إحساسنا بغيابه كل لحظة. ولكنني من جهة أخرى كنت أرى أن الاستجابة، حتى النهاية، لهواجس النفس حين تلتتصق بالآني والطارئ تلحق الكثير من الأذى الجمالي بالقصيدة.

لا بد أن نتذكر دائماً أن للقصيدة طرقها الخاصة في التعامل مع هذه اللحظة، التي تتحدر فيها الحياة إلى أقصى مدياتها.

كانت القصيدة العراقية في رصدها لانهيار الحياة وهيمنة القبح والموت قد بلغت أبعد تخومها في الموقف الإنساني وفي المحافظة، قدر ما تستطيع، على رهانها الجمالي.

مع أن قصائد أخرى لم تتوفر لاستجابتها ما ينعش شعريتها، أو يخفف من صراخها العالي. فكأنها كانت تسعى إلى إرواء غليل النفس والتنفس عن غيظها المحتشد بالرفض والعذاب.

يظل الشعر مسكوناً بدعوة من نوع ما، واضحة أو متحفية، إلى الجمال والفرح الإنسانيّ مهما تعدد اهتماماته واحتلّت أشكاله ومستويات أدائه. وهو ارتباط بالسلام والمحبة.

أما القبح والجريمة، فهما الحصادُ المرُّ والحتميُّ للحرب، وأعمالِ الكراهية، وما تفرزه من مذابحٍ وتهديمٍ لعناصر الحياة.

ولا شك أن الحرب لحظة حمقاء، وشذوذ عن السياق الإنساني المتوازن في الفعل والقول والنوايا. وهي انفجارٌ خطيرٌ لغريزة الموت والهمجية وإبادة الآخر. وهذه اللحظة الاستثنائية الشاذة، كما نعيشها الآن في العراق وفي أكثر من بلدٍ عربي آخر، هي النقيض المطلق لكل شيءٍ جميلٍ وإيجابيٍ على هذه الأرض.

و قبل أكثر من ألفي عام، وقف شاعر جاهلي حكيم، بعد أن رأى الحرب تشنّع في كل مكان، فتأكل الشجر والناس والحجارة، فلا يعود على الأرض حياةٌ تعاش، ولا جمالٌ يمكن تذوقه.

في تلك اللحظة التي فارق فيها الناس منطق الحكمة وحصافة الرأي، لم يجد زهير بن أبي سلمى أجملَ من الشعر طريقة لإعادة البشر إلى عقولهم، ولم يجد خيراً من الخيال البليغ للدفاع عن الحياة والجمال حين يتعرضان للقبح والإبادة:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتُم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

وتضر، إذا ضرّيتُمُوها، فتضُرُّم

كانت القصيدة لديه أقوى من أدوات الحرب، وأكثر تأثيراً من غريزة الموت وحمامة

العدوان. كانت إدانة لفعل الحرب وتبشيعاً لصورتها، في عيون الناس، وهي تجهز على الحياة وتتشير، على أنقاضها وبدلًا عنها، القبح والموت والضفينة.

وهكذا أفلح ذلك الشيخُ، الشاعرُ، الحكيمُ، في الدعوة إلى الألفة، وإشاعةِ المحبةِ بين الناس عن طريقِ الشعرِ وقوتهِ الرفيعةِ المؤثرةِ.

عندما تشتعل أيامنا بالمحن والكوارث هل يغدو الشعر ترفاً، أم ضرورةً، أم عبثاً لا طائل من ورائه؟ وبمعنى آخر، هل زمن الشعر هو زمن الاستقرار وهناءة البال فقط؟، هل يظل للشعر، في هذا العالم المحتشد بالجنون والقصوة، مكان ينشط فيه، وغاوون يصغون إليه بشغف؟

ويبدو لي أن حاجتنا إلى الشعر لا تنتهي مهما تغيرت الظروف التي نحن فيها، فهو الإشباع الروحي والوجوداني، في شتى الحالات والأزمنة: في الأمان والخوف، في الحب والكراهية، في السلم وال الحرب، في الحلم واليقظة. ذلك لأن الشعر لكل الأزمنة وبكل اللغات.

حين يُمتهن الروح، ويستبد به القهر حد العجز عن الفعل، لا نجد من ملاذ إلا في الفن، وفي الشعر بشكل خاص. وفي هذه الحالة تمدنا القصيدة بالكثير من القوة، ويصبح حتى الوهم أحياناً قوة ذات شحنة إيجابية.

وحين نخرج من لحظة الشعر، أعني لحظة كتابة القصيدة أو قراءتها، فإن إحساساً فائقاً بالعافية، يملأ أرواحنا، ولا يكفي عن تذكيرنا أتنا قادرون على أن نكون في مستوى آدميتنا المهددة كل يوم بالقبح والتلاشي.

إن اللحظة الشعرية هي على لحظة الهوان التراوية التي تحياها النفس البشرية. وهي تصعيد لللحظة التسامي المقومة في دواخلنا، للذهاب بها بعيداً عن قيود الظرف الأرضي والمحدود. وبذلك تخرج هذه النفس إلى المطلق الذي تصفو فيه، وتتجدد وهمها الجميل الذي يرمّمها ويخفف من تصدعاتها.

وللقصيدة صلة كبرى باليأس أيضاً، فهي ابنته أحياناً. واليأس قد ينتج الكثير من نقائضه دون أن يدرى. وحين نكتب قصيدة جديدة فكأننا نقوم بتقشير اليأس من قوته،

لتسقط طبقة من طبقاته مع كل قصيدة حقيقة، فتصبح أقوى منه.

ثمة صلة مؤكدة بين الشاعر وقصيده. ولا أعني بذلك صلة الصانع أو المنتج بما ينتج ويصنع، فما أقصده شيء آخر تماماً. أعني به الروح الداخلية للنص. نكهة الذات المنتجة للعمل الشعري، وهي تتسرّب، كرائحة غيمة تحرق، إلى شرائين النص ومفاصله. وما أعنيه، أيضاً، هو خفة الروح البشرية في فضاء الكتابة، ورفيفها الفياض بالبساطة والدفء. ولا يتحقق ذلك بطريقة فذة إلا إذا كانت قصيدة الشاعر وليدة وعي مؤلم بكل ما يكتنف الحياة من تصدع وخراب، وبكل ما يسهم في صنع تعاسات الناس أو مbagهم. لا وليدة لحظة جمالية منفصلة، أو سائبة.

إن انتصالاً جماليّاً، كالذي أشرت إليه، يؤدي بالضرورة إلى انتصارٍ من نوع آخر، ينبع عنه ويحصل به، لكنه يظل أكثر خطورة وأشدّ رعباً منه، وهو انتصار لا يأتي من ضواحي النص المكتوب أو مناطقه اللغوية المحسوسة. ولا يأتي من مستلزمات الحرفة أو مكملاً لها، بل يأتي من جهة الوعي هذه المرة، الوعي بكل تموجاته وأصعدته. الوعي بجدوى الكتابة أو عبيتها، الوعي بمكافحة البشر أو حلمهم بالتغيير، ثم الوعي بالحياة وما تحفل به من بطش أو جهل أو ريبة.

وهكذا تكون القطيعة بين الشاعر ووعيه مداعاة لعواقب فادحة، وعصبية على الإصلاح في حالات كثيرة. أولها، وأهمها أن الشاعر سيكتب قصيدة قد تكون طارئة، ومدعية وعديمة الوفاء.

وربما يبلغ هذا التنازل عن لحظة الوعي درجة المفرزة في مثال يبعث الغصّة في النفس، حين يتنازل الشاعر عن حصته في صياغة الوعي اليومي، الجمالي الصافي والمشرف لبسطاء البشر، من المعديين، أو الحالين، أو الضحايا.

هؤلاء الذين يتوجه إليهم بقصيده، بشهادته الجمالية والإنسانية. بصرحته البليغة المفجوعة، وهو يشاركون عذابهم البطولي والنادر، وهو يتماهى مع إحساسهم بالعجز والهوان، ومع القهر الذي يملأ الأزقة والحناجر المجرحة.

و زماننا الراهن يوجد علينا، كل لحظة، بالكثير من الدماء التي تجاوزت قدرة اللغة

على التحمل - كما قال محمود درويش ذات يوم - ومن الكوارث التي فاقت ما وعنته الذاكرة الإنسانية من أمثلة صارخة على جبروت الإنسان على أخيه، وعلى قلة مروءته، وتمكن غريزة الانتقام منه.

كثيرة هي العوامل التي صنعت هذه اللحظة المريمة من تاريخنا العراقي أو العربيّ عموماً؛ أولها وأهمها غياب الانتماء لهذا التراب الحافل بالثراء والجمال والمستبدين، حتى وجدنا ذواتنا فجأة أمام كيان خلقته الصدفة أو غفلة التاريخ.

لكن تلك الغفلة أو الصدفة كانت من نمط خاص، تعاونت على صنعها قوى شتى وحقب طويلة من الدهاء والصبر اللئيم، واختير لها زمن استثنائي في نزالتها، كي تبدو وكأنها صدفة الصدف جميماً، تلقائية ومن صنع محلّي خالص.

لقد رصدت القصيدة العراقية، وفي الكثير من نماذجها، هذه اللحظة الفجائية الشاذة، غير أن طبقات بالغة الرثاثة لا تزال قابعة هناك، في حقول الظلام، بعيداً عن نار الشعر وبروقة الكاشفة. لا بد للشاعر، إذن، من مواجهتها جمالياً وإنسانياً وفكرياً.

إن ظلاماً بهذه الكثافة يتطلب قصيدة قادرة على خرق الظلمة، وخلخلة كثافتها المريمة، ولا بدّ من الشعر، لا بدّ من الانتماء إلى الأرض، ولا بدّ من صناعة الجمال الرفيع في شمائله الفنية الثاقبة، والمترفع عمّا يضعف آدميتنا، أو يعود بنا إلى الدرك الأسفل من الهمجية والتخلف وصراخ القطعان الزاحفة إلى حياة لا حياة فيها.

زهير بن أبي سلمى داعية السلام منفر الحرب

(قراءة في معلقته: الثنائيات والسيمياء)

أ. د. أحمد مقبل المنصوري (اليمن)

زهير بن أبي سلمى داعية السلام من قراءة في معلقته : الثنائيات والسيمياء

توطئة :

يمثل زهير بن أبي سلمى في العصر الجاهلي أنموذجاً فريداً للإنسان الحكيم، ورمزاً مميزاً للإنسان المُجرب الخبر بِأمور الحياة ومشكلاتها الكبرى.

وعلى الرغم من أن العصر الجاهلي وسم بالطيش والسفه وقلة الصبر والحلم، وهذا ما كان ماثلاً في إشعالهم للحروب لأتفه الأسباب، واستمرارها لعشرات السنين؛ كما حدث مع حرب البسوس بين بكر وتغلب، وبرز فيها المهلل بن ربيعة بعد مقتل أخيه كلب، وحرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان وظهر فيها عنترة العبسي، واستمرت هذه الأخيرة - كما قيل - حوالي أربعين سنة وهي التي شهدناها شاعرنا زهير بن أبي سلمى، وكانت قد أكلت أمامها وخلفها كل شيء ولم تبق ولم تذر، وأنهكت أصحابها، وأوشكت أن تنهي القبيلتين، ولو لا تدخل الحكماء من أمثال الهرم بن سنان والحارث بن عوف لكانتا قد فنيتا تماماً !!

عاش زهير أواخر العصر الجاهلي؛ بما يعني أن جملة من القيم الخلقية الكبرى كانت قد تشكلت وتبلورت إيداناً بعد ذلك بمقدم هادٍ للبشرية، سيدنا محمد بن عبد الله، وكان زهير هو الأنموذج الحي لتلك المدة الزمنية، والشاهد على رقي بعض القيم التي تجسدت في عصرٍ كان أغلبه يعيش على الطيش والسفه.

وإن يكن الشعر الجاهلي قد طرح علينا دلائل لقيم الكرم والشجاعة وحفظ العهد ونجدة المستجد ونصرة المظلوم - فإن زهيراً قد طرح لنا رسالته الكبرى والمميزة في

وقتٍ كانت تُسهل فيه الخيول وتصارع الأَسْنَة والرماح، وقد تمكّن الحقد والعداء من نفوس القبيلتين المتقاولتين أَيْمَا تُمْكِن، واستمر ولم يجعل أية مساحة - طيلة السنين - للتقرب أو التسامح؛ تلك الرسالة الخالدة هي رسالة السَّلَام، وجعل معلقته أشبه ما تكون برسالة خالدة للإِنْسَانِيَّة في كل زمان ومكان؛ رسالة تتفرّغ من الحرب ووالياتها، وتتجه بعقليتها ومنطقيتها وحكمتها نحو السَّلَام وتضع حداً للحرب، وما يترتب عليها من الويلات والشَّؤُم والخراب واليباب والدمار.

معلقة زهير والسلام :

أنشأ زهير معلقته التي تصل حد الستين بيتاً وتحاوزه ببيتين⁽¹⁾، في مدح رجلين عظيمين هما : (الهرم بن سنان والحارث بن عوف) والسبب في مدحهما يعود إلى مواقفهما العظيمة في توسطهما بالصلح، وتحملهما أعباء الحرب كافة بين القبيلتين : عبس وذبيان، ودفعاً من ممتلكاتهما الخاصة تعويضات للجانبين المتقاولين عن قناعة وحرص على أن تكتف القبيلتان عن الحرب وتجنحاً إلى السَّلَام، وبعد جهد فإنَّ محاولاتهما أثمرت الخير، وبسببيهما جنحت القبيلتان إلى السلم، وانطفأت بينهما نيران الحرب المتأججة الضروس، وكان السَّلَام - بالنسبة إلى هاتين القبيلتين - أشبه بحلم بعيد المنال، وعسى التتحقق لتمكن الأَضْفَان والحدُود من قلوبهم ونفوسهم، لكن حكمة الرجلين استطاعت أن تزرع فتيل الحرب المشتعل وأن تطفئه، فتحققت الحلم العزيز المنال، وكان زهير يشهد دور الرجلين فانتشى لذلك، وبناءً على ذلك الانتشاء صاغ دستوره الخالد في تصوير بشاعة الحرب وفداحتها، وعلو كفة السلم وارتفاع منزلتها، وزهير لم يكن - بشهادة ثاني الخلفاء - لا يمدح الرجل إلا بما فيه، ولا يعاذل في الكلام، ولذلك فإنَّ ما طرحته في المعلقة منبعة الشعور الصادق الذي لا يشوّه ظن بحقيقة ما جاش في صدره.

المعلقة :

على طريقة القصائد الجاهلية الطويلة تأتي معلقة زهير بن أبي سلمى متعددة في موضوعاتها مابين : أطلال ورحلة الظعائن ومدح رجلي السلم : الهرم والحارث، ووصف

(1) تنظر المعلقة بأبياتها الـ 62 في: شرح العلاقات السابعة، الزووزني ص 109 وما بعدها.

الحرب وويلاتها والانتهاء بالحكم المنطقية الصادقة. ولكن – وهذا احتراز مهم – لا يعني هذا التعدد ضياع الفكرة الأصل والهاجس المسيطر عليه، هاجس الحرب والسلم؛ هاجس الموت والحياة، هاجس الواقع والمستقبل، هاجس الألم والأمل؛ هاجس العاطفة والعقل؛ ولأجل ذلك فقد كانت فكرة الموضوع الرئيس (امتداح الرجلين المفضي أصلاً لامتداح فكرة السلم على الحرب) هي الفكرة التي كانت تلوح عبر كل موضوعات المعلقة المتعددة. وهذه الثنائيات المتوزعة على أطراف المعلقة جمِيعاً تغذى الفكرَة الرئيسة وتعضدها وتفرضها إليها.

ستنهج القراءة للمعلقة عبر لوحاتها لعبة تجريب الثنائيات؛ أي من خلال تتبع ثنائية صغرى وعلاقاتها ببعضها من خلال تواشج مكوناتها اللغوية، لتقود أخيراً إلى ثنائية كبرى هي أيضاً من معنى اللغة ذاتها، الثنائية التي شكلت بؤرة النص وجوهره، ومنها استمدت بقية الثنائيات الصغرى في إطار لوحاتها جوهر بقائهما، ولو بدت للنظر العجل في مظنة التباعد، وليس ذلك بـكائن لعين الناظر المتoscـم - بلغة زهير نفسه، علماً أن الثنائية اللغوية وما تخلقه من الدلالة هي هـم القراءة الأولى لكونه مرتبـاً بحدود عنوان بحث أراد أن يثبت - من خلال النص وسيميائته - رسالة كبرى هي رسالة المعلقة (السلم) بعيداً عن الخوض، مثلاً، في الإيغال مع بنى آخرى كبنية الصوت وبنية الصرف أيضاً. وهذا ما سيجعل البحث عن تلك الثنائيات وعلاقاتها المتضادة يتولـل البحث عن سيميائية اللغة ويكتـئ عليها.

القراءة: اللوحة الطلالية

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةُ لَمْ تَكَلِّمْ

بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ الْمُتَلِّمِ

وَدَارَ لَهَا بِالرِّقْمَتَيْنِ كَائِنَهَا

مَرَاجِعُ وَشَمٌ فِي نَوَافِرِ مِعَاصِمِ

بِهَا الْعِينُ وَالْأَرَآءُ يَمْشِينَ حَلْفَةً

وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً
 فَلَائِيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهِمٍ
 أَثَابِيَ سُقْعاً فِي مُعَرَّسِ مَرْجَلٍ
 وَنُؤْيَا كَجِذْمُ الْحَوْضِ لَمْ يَتَّلِمْ
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبِّهَا
 أَلَا أَنْعَمْ صَبَاحًا أَيْهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمْ

اللوحة تتخذ مساحة لها محددة الأطر، ومكتملة اكتاماً مؤقتاً في بوتقة النص الكلي فيما بعد، واكتمانها بحسب مساحتها اللغوية والدلالية أيضاً يشي بوقوف الشاعر الذي جسده الضمير في (وقفت بها) والمعضد بـ(عرفت) أمام (دمنة أم أوفى ودارها) وبحسب ماتشي به اللوحة من بؤر يمكن رصدها كالتالي:

الشاعر وأفعاله: (وقفت بها - عرفت الدار - قلت) تمثل الحركة - التأمل والتفكير (بوصفه حركة ذهنية أيضاً) - الكلام (التحية) مقابل الأطلال التي تمثل السكون الصمت الجماد بناء الأثر (لم تكلم - أثابي نؤي - كالوشم) والعلاقة بينهما علاقة ضد: فالأطلال تمثل السلب السكون الصمت الموت اليباب، والشاعر في علاقته بها يحاول أن يبيث فيها الحركة، الصوت، الحياة بالتحية والسلام وباستثناء عجمتها وصمتها، وهو نفسه يمثل الحركة، الكلام، الحياة (وقفت - عرفت - قلت) مقابل الدمنة / الصمت والموت.

وحركة الحياة تتجه صوب اليباب والموت، فهي المحرك له والسايرة باتجاهه وليس العكس؛ بمعنى أن الحياة، الحركة، الكلام تتجه بإيجابية لتمكن خصائصها للجمود والسكون بغية أن تبعث فيه نسمة الحياة. الأطلال تمثل السلب / الموت، والشاعر يمثل الإيجاب / الحياة، وحركة الحياة هي الأقوى؛ لكونها هي التي تحاول بعث خصائصها في الصد / الموت، ومحاولة إزاحة خصائص السكون الجمود فيه.

وعنصر ثالث يبرز هو عنصر الحيوان، وأفعاله تشي بالانتماء إلى طرف الحياة ومقاومة اليباب والموت؛ إذ فعلها (يمشين خلفة - أطلاؤها ينهضن) حققت الحركة والازدحام والحياة.

وبالعد الرياضي يكون طرف الحياة (الشاعر+الحيوان) وطرف الموت (الطلل)، وكلاهما يحلان في الطلل، ويقاومان فكرة الصمت والموت، ومن ثم توشك الحياة أن تتصر على الموت هنا؛ فهي الأكثر إيجابية وسيطرة والموت أكثر سلبية. وفيما الحياة تبسط اتساعها تتضاءل وتتنزوي مساحة الصمت/ الجمود/ الموت.

وبالمقارنة الأفقية بمنتجو الطلل عموماً -بما تسمح به حركة السيمياط- نجد هنا حلول البهجة آخر اللوحة؛ فالنهاية للفرحة بعد مزاحمة الشؤم بغرابة دار أم أوفى، أو أقل النهاية للأمل والتقاؤل (في الشاعر طرف الحياة) مقابل الشؤم (عمجمة الأطلال) وهو أمر يدعو للتساؤل: كيف نجد الشاعر (بوصفه مجسداً لغوايا في النص لا باستدعائه من الخارج) مبتهجاً حبوراً وسواه في حيز الطلل ذاتها -كامريء القيس مثلاً - يثقله الحزن والبكاء والدموع والانهيار أمام الأطلال؟

ولا يخفف من حدة تساؤل كهذا سوى نظرة المتوضّم إلى اللوحة في سياق الثنائية الكبرى المهيمنة: (الحرب والسلم) الثنائيات هنا : الموت / الصمت / الباب - في طرفيها الأول - تغيير المعالم المسيطرة زمناً، المنتمية إلى الطلل، تتضاءل شيئاً فشيئاً أمام الحياة / الحركة / الكلام - في طرف الثنائية الثاني - متمثلة في البهجة التحية والدعاء، المنتمية إلى عالم الإنسان والحيوان. إن الانتصار المؤقت في اللوحة لطرف الحياة على الموت يتباين مع الثنائية الكبرى؛ ولتكن النتيجة هنا أن الصمت والسكون والباب ينتهي دلاليات حقل الحرب، وأن الحركة والحياة والبهجة تنتهي إلى حقل السلم، ويكون التضاد / الصراع قد منح السلم مزاحمة منتصرة على الحرب، تطمح أن يبدها جملة وتفصيلاً. ولكن حسب الأطلال أنها قدمت - في لعبة الثنائيات - الشرارة الأولى لانتصار الحياة / السلم على الموت / الحرب. ولأن الواقف (الشاعر) ثم الحيوان (العين والظباء) قد جاءتا بعد زمن إلى أطلال ميتة لا حياة فيها، وحاولا تغيير معاملها وبعث الحياة فيها من جديد، فذلك يتباين دلاليات مجيء السلم إلى صحراء الحرب التي كانت قد دمرت كل شيء، ولكنه بعث فيها الحياة والأمل من جديد. النهاية في لوحة الطلل للأمل والبهجة (الحياة / السلم) وإسدال الستار على الشؤم والألم (الموت / الحرب).

لوحة الظعائين:

تَبَصِّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَلَائِنِ
تَحَمَّلُنَّ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ
جَعَلَنَّ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينِ وَحْزَنِهِ
وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمٍ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطِ عَتَاقٍ وَكَلَةٍ
وِرَادٍ حَوَاسِيْهَا مُشَاكِهُ الدَّمِ
وَوَرَكَنٌ فِي السُّوَيْبَانِ يَعْلُونَ مَتَهُ
عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَعَمِّمِ
بَكَرُنَّ بُكُورًا وَاسْتَخَرُنَّ بِسُحْرَةِ
فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وَهِيَهُنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرُ
أَنِيقُّ لَعِينَ النَّاظِرِ الْمَوْسِمِ
كَانَ فَتَأَتِ الْعِهْنِ يِفِي كُلِّ مَنْزِلٍ
نَزَلَنَّ بِهِ حُبُّ الْفَنَانِ لَمْ يُحَطِّمِ
فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءُ زُرْقًا جِمَامُهُ
وَضَعَنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيْمِ

في رحلة الظعائين - وهن النساء المتحملات على الهوادج - تكون قلوب الشعراء مكلومة
متملة لأنها الفراق ومعادرة المكان، لكن ذهرا هنا يبدو على غير العادة!!

اللوحة تبدأ بمراقبة ومتابعة الذات - بوصفها الآن تقوم بدور السرد - لتلك الرحلة؛ حيث
الظعائين تحملن على النون من فوق جرثهم، وهو مكان في بني أسد، وتركن وراءهن جبل
القنان ومن فيه من المتعاربين المقتاتلين من أبناء عبس وذبيان، واتجهن مسرعات نحو مكان
آخر تتوافر فيه حياة الدعة والأمن والاستقرار، فوصلن إلى الماء ووضعن عصي الترحال.

حركة الثنائيات هنا في اللوحة تتجلى في الآتي:

جبل القنان يمثل المكان المرتجل عنه؛ حيث يمثل الدماء وال الحرب والماضي، يقابله الماء الأزرق الذي يمثل المكان المرتجل إليه، ويمثل المستقبل الأمل السلام.

وحركة الظعائين من حيث الجهات أن (جبل القنان) جعلته خلفها وتجاوزته، والماء الأزرق الصافي أمامها وسارت باتجاهه.

الجبل يمثل السكون والموت، والماء يمثل الحركة والصفاء، الجبل الماضي والماء المستقبل، الجبل خلف الظعائين والماء أمامها، الجبل المتروك والماء المأمول والمستقر، الجبل الشؤم، والماء التفاؤل، الجبل الألم والماء الأمل.

والنهاية كانت بالانتصار للأمل وللحياة وللاستقرار على الشؤم والألم والموت !!

وعلينا أن نرى لماذا كانت الكل التي تخفي جمال الظعائين الأنثيق عن الناظرين -سوى أنظار المتسمين- مشابهة في حمرتها للدم؟ ولماذا فكرة الدم؟ والجواب مستوحى من محاضرات⁽¹⁾ لأستاذنا د. وهب رومية أن ذلك لم يكن عبثا وإنما هو مقصود؛ فالذى كان يخفي جمال السلم المأمول عن معظم أبناء القبيلتين باستثناء الحكماء -وهم قلة- هو الدماء وأشباح الحرب التي أعمتهم عن توسم الجمال الخفي في السلم، ولم يره سوى الهرم والحارث بن عوف !!

رحلة الظعائين تتواشج في دلالتها الرامزة مع رحلة القبيلتين إلى السلم، وتركهما للحرب وويلاتها، ومن ثم فإن الطرف الأول من الثنائية في هذه اللوحة (جبل القنان ومن حلّ فيه) ينتمي إلى طرف الثنائية الكبرى (الحرب) وطرف الثنائية الثاني في اللوحة، الضد (الماء وزرقة مياهه) ينتمي قطعاً إلى طرف الثنائية الكبرى (السلم) والانتصار ثانية هنا - كلوجة الأطلال أولاً - يكون للسلم؛ حيث الظعائين اتجهت نحوه (الماء الصافي /السلم) بوصفه الاستقرار- الأمل- التفاؤل- المستقبل.

ومن هنا غابت الدموع عن عين زهير في وصف رحلة الظعائين، بل كان شديد الإعجاب

(1) حين كان في جامعة صنعاء يحاضر الأدب الجاهلي، وكذا طلبته حينها في بداية التسعينيات. واستشهدت هنا برؤيته لعمق دلالتها ولشدة انتباذه في التقاطها من حيز الجملة في سياق النص/الظعائين.

بها وكانت نفسيته مطمئنة، وأكبر دليل على اطمئنانه تصوير فتات الصوف بحب الفنا الأحمر الصغير الذي لم يحطم، وتصوير ألوان الكلل وحواشيه؛ لأنه لا يريد من هذا التقليد المستقر في الوجود أن سوى رصد إيحاءاته المتجاوية مع هاجسه الأكبر، وكل شاعر بإمكانه أن يوظف هذا التقليد – وكذا الأطلال – دون أن يخل بمقوماته، وزهير هنا وبغمضة عين – استطاع أن يعطي التقليد حقه، ويوظفه التوظيف البارع الدال على عبريته، ولاغرابة في أنه قد وصف عند بعضهم أنه من أحسن شعراء الجاهلية، من طائفة عبيد الشعر!

لوحة السلم وال الحرب:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
 رِجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمْ
 يَمِينًا لِنَعْمَ السَّيِّدِانِ وُجُدُّتُمَا
 عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
 تَدَارَكُتُمَا عَبْسًا وَذِيَّانَ بَعْدَمَا
 تَقَانَوْ وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عَطْرَ مَنْشَمِ
 وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكَ السَّلْمَ وَاسِعًا
 بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسَلْمِ
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
 بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمٍ
 عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٌ هُدَيْتُمَا
 وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمْ

هذه اللوحة تشكل صلب الهاجس الأكبر وصلب الثنائية الكبرى المهيمنة على أطراف المعلقة، وفيها يمدح رجلي السلم: الحارث بن عوف والهرم بن سنان، وتكتسب اللغة هنا

طابع الوضوح والتقريرية في رصد صنيع هذين الرجلين الذين كانوا رمز السلم والخير والأمل؛ لأنهما تداركا بالسلم ما يبقي من القبيلتين اللتين كانتا بسبب الحرب قد أوشكتا على الفناء.

اللوحة تجسد مساحة السلم وتزيح الحرب ولم يتبق منه أمام السلم سوى أشلاء باهتة تعكسها الصورة بانحيازها للماضي البعيد حيث السمعة السيئة والتي لن تتكرر (بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم).

ويمضي في منح (الحرب / الشؤم) حقها من الوصف والتصوير:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجِمِ
مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعُثُوهَا ذَمِيْمَةً
وَتَضَرِّ إِذَا ضَرَّتُمُوهَا فَنَصَرَمِ
فَتَعْرُكُمْ عَرْكَ الرَّحْيِ بِثَفَالَاهَا
وَتَلَقَّحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُتَبَّعُمِ
فَتُنْتَجُ لَكُمْ غَلْمَانَ أَشَامَ كَلْهَمِ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضَعُ فَفَقَطَمِ
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تَغْلِلُ لِأَهْلِهَا
قُرَىٰ بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرَهَمِ

اللوحة هنا في طرفها (الحرب) حاضرة على مستوى اللفظ والمساحة الورقية لكنه حضور الطرد لها على مستوى الفكر؛ أي تنفي نفسها بنفسها؛ إنه حضور النفي، ونفي حضورها يحقق حضور المنفي؛ بمعنى أن حضور اللغة المكثفة هنا هي في سبيل تغييب الحرب عن الذهن مقابل حضور الغائب المستدعى للسلم.

فالحرب دمار وشر ولا تغلب سوى الشر، وذلك الغل / الشر يفوق في حجمه ما تغله

أرض العراق من الخير، وترك الناس كعرك الرحي ولا تبقي ولا تذر، ومني ما بعثت فإنها تشتعل اشتعال النار المتهبة. الثنائيات هنا: الحرب الحاضر المتجلّى لغوايا، مقابل السلم الأكثر سيطرة مع غيابه المتجلّى ذهنياً.

العقل هنا ينتصر أيضاً على العاطفة، فوصف الحرب والوقوف على ويلاتها هو صوت العقل في حين أن صوت العاطفة المرافق في الماضي هو صوت الانفعال والانقياد للحرب، لكنه في حكم الماضي الغائب المزاح.

لوحة الحكمة / العقل:

بعد انتصار السلم على الحرب واطمئنان نفس زهير بثباته أنهى معلقة بحديث الحكيم الفيلسوف الخبر بالحياة وشؤونها، فقد طائفة من حكم العقل والمنطق، تمس الحياة والنفس البشرية، وتكشف عن رؤيته التي فقهها بعد خبرته الطويلة في الحياة، وانتماها قطعاً يكون لمنطق العقل، وانتصاره على منطق العاطفة:

سَيْمَتْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَّأَمِ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ فَبَلَهُ
وَلَكَنَّنِي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِّ عَمِ
رَأَيْتُ الْمَنَائِيَا خَبْطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبَ
تُمْتَهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يَعْمَرُ فِيهِرَمِ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضَرِّسُ بِأَنَيَابِ وَيُوْطَأُ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَقَبَّلُ الشَّتَمَ يُشَتِّمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلُ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمٍ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمِمْ وَمَنْ يَهْدِ قَبْلَهُ
 إِلَى مُطْمَئِنَّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّجِ
 وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَائِيَا يَنْلَهُ
 وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
 وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
 يَكْنُ حَمْدَهُ ذَمَّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
 وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ
 يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلَّ لَهَذِمِ
 وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ سِلَاحِهِ
 يُهَدِّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلِمِ
 وَمَنْ يَغْرِبِ يَحْسَبْ عَدُوًا صَدِيقَهُ
 وَمَنْ لَمْ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَمْ يُكَرِّمِ
 وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَئٍ مَنْ خَلِيقَةِ
 وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
 وَكَانَ تَرَى مِنْ صَامِتَ لَكَ مُعْجِبٌ
 زِيَادَتِهِ أَوْ نَقْصَهُ فِي التَّكْلِمِ
 لِسَانُ الْفَتَنِ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
 قَلْمَ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

والخلاصة:

أن الشاعر الجاهلي الحكيم (زهير بن أبي سلمى) من خلال هذا النص الأشهر في نتاجه الشعري، قدم رسالته الإنسانية الخالدة على النحو الذي رأينا، فالنص بدأ بالوقوف على الأطلال وتواشجه شائينتان هم الموت والبيات والعممة والصمت -من جهة- والحياة والحركة والصوت، من جهة الضد المقابل، وكانت الغلبة لقيمة الحياة،

وكانَتْ هذِهِ الثَّانِيَةُ فِي حدود مساحتها تغذى الثَّانِيَةُ الْكَبِيرِيَّةُ المهيمنة من حيث إن قيمة السلم هي المنتصرة على قيمة الحرب، وحين الانتقال إلى اللوحة الثانية لوحَةُ الظَّعائِنِ وجدنا أيضًا ثَانِيَةً جَبَلِ الْقَنَانِ - بما هو مَكَانُ القِتالِ والدَّمَاءِ وَالْفَتْنَةِ، وهو ماضي الحرب الكَبِيرِ من جهة - وَمَاءُ بوصَفِهِ الْأَمْلِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْاسْتِقْرَارِ، وبوصَفِهِ السَّلْمُ الْمَأْمُولُ وَهُوَ مَحَطُ رَحْلَةِ الظَّعائِنِ وَمَنْتَهَا مِنْ جَهَةِ ثَانِيَةٍ، وَكَانَتْ الْفَلْبَةُ لَهُ؛ لِمَاءِ أَيْقُونَةِ الْمُسْتَقْبَلِ الْحَيَاةِ وَالْأَمْلِ، عَلَى ذَلِكَ الْمَاضِيِّ / الْمَوْتِ وَالْأَلَمِ، وَتَكُونُ الْلَّوْحَةُ قَدْ قَدَّمَتْ نَصْرًا آخَرَ لِلْسَّلْمِ عَلَى الْحَرْبِ بِوَصْفِ الْجَبَلِ وَعَالْمِهِ يَنْتَمِي إِلَى الْحَرْبِ، وَمَاءُ وَعَالْمِهِ يَنْتَمِي إِلَى السَّلْمِ.

وَهِينَ ثَبَّتَ حَقِيقَةً أَنَّ السَّلْمَ يَجْتَاحُ أَشْبَاحَ الْحَرْبِ وَهُوَ الْقَنَاعَةُ الَّتِي تَحْقَقَتْ بَعْدَ طَوْلِ عَنَاءٍ، فَإِنَّ لَوْحَةَ وَصْفِ الْحَرْبِ وَلَوْحَةَ الْحُكْمَةِ كَانَتْ مِنْ نَصِيبِ الْعُقْلِ حِيثُ الْحَدِيثُ دَارَ حَوْلَ رَمْزِيَّةِ قِيمَةِ السَّلْمِ (الْحَارِثُ وَالْهَرَمُ) وَاسْتَدْعَى بِالْمُنْطَقِيِّ الْحَدِيثِيِّ عَنِ الْحَرْبِ وَوَيْلَاتِهِ وَبِشَاعُرَاهَا وَمَسَاوِئَهَا فِي غَيَابِ مَطْلَقِ الْلَّعَافَةِ، بِوَصْفِهِا الثَّانِيَةُ الْمُضَادَةُ لِلْعُقْلِ؛ فِي كُونِهَا سَرِّ شَطَحَاتِ الْمَاضِيِّ، وَلِكُونِهِ سَرِّ مَنْطَقِيَّةِ الْوَاقِعِ وَالْحَيَاةِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَهَاتَانِ الثَّانِيَتَيْنِ تَعَزِّزَانِ الثَّانِيَةُ الْكَبِيرِيَّةُ بِوَصْفِ الْعُقْلِ الْمُنْتَصِرِ يَنْتَمِي إِلَى السَّلْمِ، وَبِوَصْفِ الْلَّعَافَةِ الْمُنْطَقِيَّةِ الْغَائِبَةِ تَنْتَمِي إِلَى الْحَرْبِ. وَخَاتَمَ النَّصُّ حُكْمُ مَتَوَالِيَّةٍ، كَانَتْ مِنْ نَصِيبِ الْعُقْلِ؛ حِيثُ الْحُكْمَةُ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَقْبِلُ التَّغْيِيرِ هِيَ مِنْ صَنْبِعِ الْعُقْلِ وَمِنْ نَتَاجِهِ.

الْسَّلْمُ إِذْنَ رِسَالَةِ النَّصِّ الْكَبِيرِيَّ وَرِسَالَةِ الْحَيَاةِ، وَتَغْلِبُهُ عَلَى الْحَرْبِ هُوَ تَغْلِبُ الْحَقِيقَةِ عَلَى الْزَّيْفِ، وَتَغْلِبُ الْعُقْلُ عَلَى الْجَنُونِ، وَتَغْلِبُ الْحَيَاةَ عَلَى الْمَوْتِ!

وَإِنْ يَكُنَ الْبَحْثُ فِي الثَّانِيَاتِ مِنْ حِيثُ عَلَاقَاتِهَا وَتَضَادَاتِهَا وَتَوَاشِجَهَا بِنَائِيَا لِتَغْذِيَةِ ثَانِيَةِ الْكَبِيرِيَّةِ الْحَرْبِ وَالْسَّلْمِ يَشِيُّ بِالنَّهَجِ الْبَنِيُّويِّ، فَإِنَّ الْاتِّجَاهَ صَوبَ الدَّلَالَةِ وَرَمْزِيَّهَا فِي إِطَارِ الثَّانِيَةِ ذَاتِهَا يَشِيُّ بِالسِّيمِيَّائِيَّةِ نَهْجًا مُؤَازِّرًا، وَذَلِكَ كَانَ نَهَجُ الْقِرَاءَةِ.

الإِشَارَاتُ الْمَرجِعِيَّةُ:

- 1 - شرح المعلقات السبع، للزوذني، تقديم: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: 1، 2004م.
- 2 - محاضرات قديمة مخطوطة لأستاذنا د. وهب رومية - جامعة صنعاء 1991م. ويمكن النظر في مؤلفاته المطبوعة مثل: الرحلة في القصيدة الجاهلية في مناقشاته التي تكشف عن روابط متواشجة تربط موضوعات القصيدة الواحدة.

الدعوة إلى السلام العالمي في أدب علي أحمد باكثير

د. عبدالحكيم الزبيدي (الإمارات)

الدعوة إلى السلام العالمي في أدب علي أحمد باكثير

يعد الأديب العربي الراحل علي أحمد باكثير (1910-1969) من أغزر أدباء عصره إنتاجاً وتنوعاً، فقد ترك ست روايات، وأكثر من ستين مسرحية طويلة، ومثلها من المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد، تتنوع موضوعاتها بين التاريخي والأسطوري والسياسي والاجتماعي⁽¹⁾.

وسنحاول في هذه المقالة المختصرةتناول موضوع الدعوة إلى السلام العالمي في أدب باكثير، مقتصرتين على نماذج من أعماله للتدليل؛ إذ إن استعراضها كلها بحاجة إلى دراسة موسعة.

الدعوة إلى السلام المحلي:

«آه ما أجمل الحياة في ظل السلام، حيث لا حرب ولا خصم»، بهذه الصرخة النابعة من أعماق القلب، عبر مصعب بن الزبير في رواية (الفارس الجميل)⁽²⁾، عن حبه للسلام، وكرهه للحرب التي أجبرته الظروف السياسية على خوضها، حيث أعلن أخوه عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز والعراق مناوئاً بذلك عبد الملك بن مروان في الشام. وكان عبد الله قد عين أخيه مصعباً وإلياً على العراق، فاضطر لخوض الحروب تحت لواء أخيه ضد المختار بن أبي عبيد الثقفي، ضد الخوارج، وأخيراً ضد عبد الملك بن مروان صديقه القديم. وكان مصعب بطشه ميالاً إلى السلم وإلى حب الحياة والنهل من

(1) للاستزادة حول حياة وأعمال باكثير يرجى مراجعة الموقع الإلكتروني: <http://www.bakatheer.com>

(2) رواية تاريخية نشرت على ثلاثة حلقات في مجلة (القصة) سنة 1965م

مباحثها، ومن ذلك أنه جمع بين عقiliتي قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وكانت أجمل جميلات عصرهن وأشرفهن نسباً وأرجحهن عقلاً. ولكن الحياة لم تصف لصعب واضطر إلى محاربة صديقه القديم عبد الملك بن مروان، وعبر بذلك النافذة عن كرهه للحرب، وحبه للسلام. وقد عبر باكثير عن وجهة نظره في تلك الحرب من خلال شخصية مصعب بن الزبير بطل الرواية الذي أطلق عليه لقب (الفارس الجميل) فقد كان مصعب من أجمل الناس وجهاً وأنبلهم خلقاً، وأشجعهم قلباً.

وقد تخيل المؤلف حادثة لم تحدث في التاريخ ولكنه سردها وكأنها قد وقعت فعلاً، وهي أن مصعب بن الزبير قد تسلل متخفراً إلى معسكر عبد الملك بن مروان قبيل وقوع المعركة الفاصلة بينهما، على أنه رسول من مصعب، ولكن حرس عبد الملك عرفوه وقادوه إلى عبد الملك الذي استقبله بالعناق والأحسان، وأقام مصعب في معسكره ثلاثة ليالٍ، تذاكراً فيها صداقتهما القديمة وذكرياتهما الجميلة، وحاول خلالها مصعب أن يتي عبد الملك عن قتاله ووجه إليه دعوة للسلام بينهما، ولكن عبد الملك رغم تأثره بكلام مصعب إلا أنه لم يقبل الدعوة⁽¹⁾:

«وفي اليوم الثالث حين تهيأ مصعب للمسيير، وخلا به عبد الملك ليودعه، ناشده مصعب أن يستجيب لدعوة السلام وينقلب إلى الشام ذلك العام عسى أن يجعل الله لهما مخرجاً في مستقبل الأيام. وتتأثر عبد الملك من كلمات صديقه التي قالها في صدق وإخلاص حتى ترقق الدمع في عينيه، فتوهم مصعب أنه سيجيئه إلى ما طلب. ولكن عبد الملك لم يزد على أن أطفف له القول، ووعلمه بالنظر في هذا الأمر».

وقد ترك باكثير روایته مفتوحة، فلم ينهاها بذكر حدوث المعركة ومقتل مصعب وانتصار عبد الملك، ذلك أن سياق الرواية يؤكّد هذا المصير الذي يسير إليه مصعب، فقد كانت الأحداث كلها تشى بأفول نجم ابن الزبير وسطوع نجم عبد الملك. وكان المؤلف (باكثير) بتركه النهاية مفتوحة على دعوة مصعب للسلام، ووعد عبد الملك بالنظر فيها، يرسل رسالة إلى العرب المعاصرين، بالنظر في هذه الدعوة وعدم تكرار ما حديث في التاريخ.

(1) باكثير، علي أحمد: الفارس الجميل، مكتبة مصر، 1993، ص 91

وكذلك دعا باكثير إلى التعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد على اختلاف مللهم وأديانهم، والوقوف ضد محاولات الإفساد بينهم وتاليل بعضهم على بعض، من قبل أعدائهم. فقد صور باكثير في رواية (سيرة شجاع)⁽¹⁾، تكافف الشعب المصري بطائفته المسلمين والمسيحيين في مقاومة الصليبيين الذين احتلوا مصر إبان العهد الفاطمي. وقد أوضح المؤلف سياسة الفرنج في الإيقاع بين المسلمين والمسيحيين⁽²⁾:

«وكانوا قد رسموا في سياستهم من قبل أن يفرقوا بين المسلمين وإخوانهم الأقباط بمختلف الوسائل وشئي السبيل من اجتذاب قلوب الأقباط وإيثارهم بالمصالح والمنافع وإيغار صدورهم على إخوانهم المسلمين، وتذكيرهم بأنهم وإياهم على دين واحد، وأن المسلمين جميعاً أعداؤهم، وأنهم قد جاؤوا من بلادهم لإنقاذ الأرض المقدسة من أيدي المسلمين وراء لواء المسيحية في ربوع الشرق، فعليهم أن يكونوا معهم إلباً واحداً على أعدائهم المسلمين.

ولكنهم كانوا يقابلون ممن اتصلوا بهم من الأقباط بالإعراض والازوار وربما جادلهم بعضهم كما وقع من زكريا ابن أبي المليح أحد وجهاء الأقباط وشعرائهم إذ تصدى لهم يوماً، فلما حاوروه، قال لهم: «نحن جميعاً مصريون، وهؤلاء إخواننا وبلادهم بلادنا والدين لا يفرقنا إذ نحترم دينهم ويحترمون ديننا، وما أنتم بأحق بنا منهم، حتى الدين لا يجمعنا وإياكم فإن مذهبكم يختلف عن مذهبنا فليس يجمعنا بكم شيء».

فأرادوا اليوم أن يتوصلا إلى هدفهم هذا بطرق أخرى، فأوعزوا إلى بعض الخونة من صنائعهم، فألقوا القاذورات في بعض كنائس الفسطاط والقاهرة ليوهموا الأقباط أن ذلك من عمل إخوانهم المسلمين، ثم ألقوا مثلها في بعض مساجد المدينتين ليوهموا المسلمين أن ذلك من عمل إخوانهم الأقباط انتقاماً مما وقع على كنائسهم».

وكاد هؤلاء الشياطين أن يبلغوا غرضهم، إذ ثار الأقباط ثم ثار المسلمون في كلتا المدينتين، واشتبك فريق من هؤلاء بفريق من هؤلاء، لولا أن ارتفع صوتان جهيران في غمار هذه الفتنة المدمدة بين أبناء الوطن الواحد، فأصم دويمهما الآذان في أول الأمر

(1) رواية تاريخية نشرت سنة 1956

(2) باكثير، علي أحمد: سيرة شجاع، مكتبة مصر، د.ت، ص 194-196

حتى إذا أصغوا إليهما من خلال الفتنة العاوية سمعوا منها فصل الخطاب، فخشت الأصوات، وسكنت الجوارح، وهدأت النفوس، وثبتت العقول.».

أما الصوت الأول: فصوت أبي الفضل الحريري!

وأما الصوت الثاني، فصوت ذكريا ابن أبي المليح!

وهكذا استطاع المصريون بتكاتفهم وتلاحمهم تجاوز الفتنة وطرد الصليبيين من أرضهم.

ويرى باكثير أن السلام كي يستتب لابد له من قوة تحميء من كيد الكائدين والمعتدين. يصور ذلك في مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) حيث يدور الصراع في المسرحية بين رغبة إخناتون في نشر دعوته الجديدة بين الناس سلماً لأن دعوته إنما تقوم على الحب والسلام، وبين رغبته في استخدام السيف ضد الكهنة الذين وقفوا له بالمرصاد وقاوموه بالعنف وألبوا الناس ضده.

إخناتون في البداية رفض استخدام العنف ضد مناوئيه من الكهنة الذين قاوموا دعوته الجديدة وحرضوا الناس ضده. وكذلك فعل أعداؤه بالشام إذ طردوا الرسل الذين أرسلهم للتبرير بالدين الجديد وهدموا المعابد التي أقاموها. وقد حاول كبير قواده (حور محب) أن يقنعه أن استعمال السيف ضروري لنشر الأمن في البلاد ولتيح الحرية لرسله أن يبثوا دعوة السلام والحب بين الناس، لأن الكهنة يقفن حائلًا بين الناس وبين قبول الدين الجديد. ولكن إخناتون لم يقتتن بكلام كبير القواد قائلًا له إن الحرب لا تتفق مع دعوة الحب والسلام التي أمره الله بها⁽¹⁾:

إخناتون: ليس في دين الله إكراه يا حور محب

حور محب: بالحججة والبرهان؟

إخناتون: أجل بالحججة والبرهان

حور محب: حتى هذا يا مولاي لن يتحقق إلا

بحفظ الأمن، ولن يتسعى حفظ الأمن

(1) باكثير، علي أحمد: إخناتون ونفرتيتي (مسرحية شعرية)، دار الكاتب العربي، الطبعة الثانية، 1940، ص 124

بغير الضرب على أيدي العابثين!

إخناتون: كيف أدعو لدين الحب ودين السلام

وأعمل سيفي فيهم؟

حور محب: هل هناك رب عن الحرب يا مولاي؟

إخناتون: بل دعاني إلى السلم والحب

حور محب: لكن هل تلقيت أمراً صريحاً منه بترك القتال؟

إخناتون: كلا.. لكن تقتضي دعوة السلم والحب ترك القتال

وقد أدت سياسة إخناتون السلمية إلى أن تجراً عليه الكهنة، حتى أن عميد كهنة أمون أساء أدبه في حضرة إخناتون ووجه إليه كلاماً جافاً فيه تهديد ووعيد لدرجة جعلت كبير القواد يفقد صوابه ويهجم عليه بالسيف لولا أن إخناتون حال بينهما⁽¹⁾. وحضر الكهنة الناس على خلع طاعة إخناتون وعدم دفع الخراج واستماليوا قواد الجيش إليهم، حتى ساءت حالة الدولة وجفت خزائنهما وتفرق أتباع إخناتون عنه، واستولى الحبيشون على ولاياته في الشام.

وأخيراً، حين أصبح إخناتون على فراش الموت، تبين له خطأه وأنه يجب استخدام سيف العدل لتحطيم سيف الظلم، بعد أن أدرك حكمة الله في إباحة القتال بقوله مخاطباً ربه: «إن رحمتك العظمى رحمة الجراح الذي يبتز العضو كي ينقذ الجسم من قرحة ساعية. حكمة غابت عنى فانهار لها صرح أعمالي»⁽²⁾.

الدعوة إلى السلام العالمي:

يرى باكثير أن السلام العالمي لن يتحقق بسيطرة دولة واحدة أو دول معينة على الكون. بل بوصول الإنسان إلى رشده وإدراكه أن منطق القوة والغلبة ليس هو السبيل في إحلال السلام وإنما الحب والتعايش والتسامح. ففي مسرحية (إمبراطورية في

(1) إخناتون ونفرتيتي، ص 134

(2) إخناتون ونفرتيتي، ص 162

المزاد)⁽¹⁾، التي كتبها في زمن كانت تتنافس فيه دولتان على سيادة العالم، هما أمريكا والاتحاد السوفيتي، دعا باكثير إلى قيام كتلة ثالثة تضم الشعوب التي كانت مستعمرة، لتسعي إلى إقرار السلام العالمي، الذي لا يمكن أن يتحقق - كما يرى المؤلف - إلا بعد انتهاء النزعة الاستعمارية لدى الدول الكبرى وتحرر الشعوب المستعمرة. وقد تحققت دعوة باكثير في قيام (حركة عدم الانحياز)⁽²⁾ التي انبثقت عن مؤتمر (باندونغ) الذي عقد بعد ثلاثة سنوات من كتابة ونشر هذه المسرحية، وقد تبأ به المؤلف في مسرحيته وأطلق عليه اسم (مؤتمر دلهي)⁽³⁾:

وزير الدفاع: يعني مؤتمر الشعوب المنعقد الآن في دلهي. هذا المؤتمر يسعى إلى تصفيية الإمبراطورية.

سيركل: ذاك المؤتمر الهزيل الذي يسعى إلى إقرار السلام؟

وزير الدفاع: لم يعد هزيلا كما كنا نظن، لقد تبين من قلم مخابراتنا اليوم أنه خطير جدا، وأنه يعقد جلسات سرية غير الجلسات العلنية.

سيركل: ليعدوها علنية وسرية، ماذا يستطيع أن يفعل؟

وزير الدفاع: لقد علم الجنرال روبرت من مصدر موثوق به أن المؤتمر قرر في إحدى جلساته السرية وجوب تصفيية الإمبراطورية البريطانية، باعتبارها قلعة الاستعمار الكبرى، ولا سبيل إلى استقرار السلام في العالم ما دامت قائمة.

وفي نهاية المسرحية الملهاة، يتخيّل المؤلف أن الإمبراطورية البريطانية عرضت للبيع في المزاد لتصفية مستعمراتها، ولكن شعوب الكتلة الثالثة وقفت ضد هذه الصفقة، ومنعت بيع الإمبراطورية البريطانية وسمحت فقط للشعوب التي كانت مستعمرة بشراء حريتها. وتنتهي المسرحية بعودة الحرية إلى الشعوب التي كانت مستعمرة وإحلال السلام في العالم. ويقرر (هنري) وخطيبته (كارولين) بطلا المسرحية الهجرة إلى إحدى دول

(1) ملهاة سياسية نشرت عام 1952م

(2) تأسست الحركة من 29 دولة، وهي الدول التي حضرت مؤتمر باندونغ 1955، الذي عقد بجهود كل من رئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو والرئيس المصري جمال عبد الناصر والرئيس اليوغوسلافي تيتو

(3) باكثير، علي أحمد: إمبراطورية في المزاد، مكتبة مصر، د.ت، ص 67

الشرق للعيش هناك مع الأمم التي تعشق السلام وتسعى إلى إحلاله^(١):

هنري: (في صوت هادئ) لقد قررنا.. كارولين وأنا أن نرحل.

ستیتلی: أحقا یا کارولین؟.

كارولين: نعم يا أبي.

ستیتلی: إلى أين؟

هنري: إلى الشرق.

كارولين: إلى مصر أو الهند أو إندونيسيا أو الصين..

وكانت (كارولين) تؤمن بالشيوعية وأنها السبيل لتحقيق السلام في العالم، ولكنها في النهاية وجدت أن السلام الحقيقي هو في الإسلام⁽²⁾:

كارولين: من أجل السلام كفرت بالله أمس.. ومن أجل السلام آمنت به اليوم..

توبیلمان: ومن أَجَلُ السَّلَامِ سَتَكْسُرِينَ بِهِ غَدًّا كَرَةً أَخْرَى..

كارولين: كلا.. قد رأيت الله فلن أكفر به..

تولمان: رأيته؟.. أين رأيته؟.. في هذا المزاد الدولي؟

ويرى باكثير أن العلم لن يعمل على إحلال السلام في العالم إلا إذا امتلكته قلوب مؤمنة، ت يريد أن تتحقق به سعادة البشرية لا السيطرة عليها وإخضاعها لإرادتها. ففي مسرحية (هاروت وماروت)⁽³⁾، يتناول المؤلف أسطورة بابل التي تزعم أن (سوان) جمع علماء بابل في البرج وأمرهم بإطلاق صواريخهم لغزو الفضاء فبأجل الله أستنتم

(1) إمبراطورية في المزاد، ص 127

(2) إمبراطورية في المزاد، ص 129

(3) مسرحية أسطورية، حازت على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب عام 1962م

فأصبح بعضهم لا يفهم كلام بعض، وكانوا قد بلغوا من القوة والاكتشافات العلمية في مجال الفضاء شاؤاً عظيماً. ويفسر المؤلف لماذا سلبهم الله هذا المجد بأنه بسبب أن سواع كان قد طفى وبقى وسفك الدماء وأباد أمماً بأكملها من جيرانه الأبراء ثم تمادي في غيه فأرادا أن يستغل أسرار الطبيعة التي اكتشفها بعض علمائه فأجبدهم أن يغزو الفضاء وينقلوا جنوده إلى الكواكب والنجوم حتى يعيث فساداً في السماء كما عاث فساداً في الأرض، ولكن الله بليل أسلنتهـم وهم في برجـهم لتبقى الأسرار العلمية مخزـونة في صدورـهم حتى ماتـت بمـوتـهم⁽¹⁾.

ويأتي بعد (سواع) ابنـه (يغوث) وشـتان بين رـجلـ الحربـ ورـجلـ السلامـ، شـتانـ بينـ منـ يـمـيتـ النـاسـ وـبـينـ منـ يـحـيـيـ النـاسـ، وـيعـقدـ (يـغـوثـ) صـلـحاـ مـعـ مـمـلـكةـ الرـعـاـةـ وـيـتـزـوـجـ مـلـكـهـ (بعـلـ) اـبـنـةـ يـغـوثـ (إـيـلاـتـ) وـلـمـ يـكـنـ فيـ زـوـاجـهـمـ إـلـاـ أـنـهـ وـطـدـ السـلـامـ بـيـنـ الـمـلـكـتـيـنـ لـكـفـيـ بهـ يـمـنـاـ وـبـرـكـةـ⁽²⁾.

ثم تتناول المسرحية بعد ذلك التنافـسـ بـيـنـ (إـيـلاـتـ) وـأـختـهـ (الـعـزـىـ) فيـ كـسـبـ وـدـ الشـعـبـ لـتـكـونـ أـحـدـهـمـ مـلـكـةـ بـابـلـ. وـكـانـتـ (الـعـزـىـ) تـمـارـسـ ذـلـكـ مـنـ خـلـالـ الـمـبـالـغـةـ فيـ التـعـريـ وـالـاهـتمـامـ بـالـجـمـالـ وـتـولـيـةـ الـقـضـاءـ لـأـجـمـلـ رـجـلـ فيـ بـابـلـ، وـكـانـتـ (إـيـلاـتـ) تـسـعـىـ إـلـىـ الـاهـتمـامـ بـالـعـلـمـ وـتـحـاـولـ غـزـوـ الـفـضـاءـ لـتـحـقـيقـ حـلـمـ جـدـهـ (سوـاعـ)، وـتـسـتـطـعـ (إـيـلاـتـ) الـحـصـولـ عـلـىـ السـرـ الإـلـهـيـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ الـفـضـاءـ مـنـ الـمـلـكـيـنـ (هـارـوـتـ وـمـارـوـتـ) وـتـرـحـلـ هـيـ وـجـيـشـهـ إـلـىـ الـفـضـاءـ وـلـكـنـهـ لـاـ تـعـودـ حـيـثـ مـسـخـهـمـ اللـهـ حـجـارـةـ فيـ كـوـكـبـ الزـهـرـةـ.

وبـهـذـا يـمـكـنـ تـلـخـيـصـ فـكـرـةـ الـمـسـرـحـيـةـ فيـ «ـإـنـ إـلـيـانـ يـسـتـطـعـ صـعـودـ الـفـضـاءـ -ـبـتـوـفـيـقـ اللـهـ -ـإـذـاـ غـلـبـ خـيـرـهـ شـرـهـ وـأـرـادـ بـهـذـاـ الغـزوـ الخـيـرـ لـاـ الشـرـ مـاـ لـمـ يـأـتـ اللـهـ سـيـحـبـطـهـ»⁽³⁾.

وـيـمـثـلـ (هـرـمـسـ) دـاعـيـةـ السـلـامـ فيـ الـمـسـرـحـيـةـ⁽⁴⁾:

منـاـةـ (سـاخـرـةـ): السـلـامـ يـاـ هـرـمـسـ؟

(1) البابكـريـ، أـبـوـبـكرـ: السـلـامـ العـالـيـ فيـ مـسـرـحـ باـكـثـيرـ، الـلـمـحـ الثـقـافـيـ، صـحـيـفةـ الثـورـةـ (اليـمـنـ)، 2ـ دـيـسـمـبـرـ 2001ـ، صـ 15ـ

(2) باـكـثـيرـ، عـلـيـ أـحـمـدـ: هـارـوـتـ وـمـارـوـتـ، مـكـتبـةـ مـصـرـ، دـ.ـ تـ، صـ 23ـ

(3) دـ.ـ أـبـوـبـكرـ الـبـابـكـريـ: السـلـامـ العـالـيـ فيـ مـسـرـحـ باـكـثـيرـ، مـرـجـ سـاقـيـ، صـ 15ـ

(4) هـارـوـتـ وـمـارـوـتـ، صـ 23ـ24ـ

هرمس: أجل السلام بين الجيران، بل السلام بينبني الإنسان حيث لا عدوان ولا خصام، ولا يبغي بعضهم على بعض.

وكان (هرمس) يحذر (إيلات) من أن ما تقوم به يقوض السلام ولا يجعله⁽¹⁾:

إيلات: ألا تحب السلام يا هرمس؟

هرمس: بلّي وفي سبيل السلام أُنصحك

إيلات: فالسلام لن يستتب إلا يوم أخضع شعوب الأرض كلها لسلطاني

هرمس: ذلك هو البغي والطغيان. السلام إباء وحرية

ويرى (هرمس) أن السلام لن يتحقق إلا حين تبلغ البشرية رشدتها⁽²⁾:

إيلات: ومتى يبلغ الإنسان رشدته؟

هرمس: يوم لا يسيطر سفهاؤه على حكمائه، ولا يبغي أقوياوه على ضعفائه، يوم يسعى زعماؤه في خدمة أفراده، ولا يساق أفراده في خدمة زعمائه، يوم يشعر المساء بأن إساءاته ترتد إليه قبل أن تصيب آخاه، ويشعر المحسن أن إحسانه يعود عليه قبل أن يعود على سواه، يوم تصبح شعوب الأرض في تقاربها وتراحمها وتعاونها كأنها شعب واحد يعيش في بلد واحد، ويجمعه مصير واحد.

وفي مسرحية (فاوست الجديد)⁽³⁾، يتناول باكثير أيضاً قضية السلام العالمي من خلال شخصية (فاوست)، الذي وصل إلى معرفة الله تعالى عن طريق العلم، بعد أن باع روحه للشيطان للحصول على العلم، فلما عرف الله تاب وأراد أن يعرف جميع الناس الله عن طريق العلم ليعيشوا في سلام⁽⁴⁾:

بارسليز: فهل عرفت أنت الغاية من وجودهم؟

فاوست: نعم

(1) هاروت وماروت، ص 117

(2) هاروت وماروت، ص 28

(3) مسرحية أسطورية، مثلت في إذاعة البرنامج الثاني، أخرجها الشريف خاطر، 1967.

(4) باكثير، علي أحمد: فاوست الجديد، مكتبة مصر، 2001، ص 86

بارسليز: ما هي؟

فاوست: أن أعبد الله وأحبه وأعبده

بارسليز: فماذا تريده بعد؟

فاوست: أن أعرفه عن طريق العلم ليتسنى للناس جمِيعاً أن يعرفوه فيعيشوا في حب
وسلام.

«وكما امتلكت (إيات) السر في صعود السماء بوسائل دنيئة كذلك اكتسب (فاوست)
العلم عن طريق الشيطان، وبعد ما ارتكب كل الموبقات. وإذا كان الله قد عاقب (إيات)
لأنها أرادت أن تستخدم هذا الكشف للشر وضد البشرية، كذلك أدرك (فاوست) أن
البشرية ما زالت في طفولتها ولم تبلغ بعد الحكمة في استخدام الكشوف التي بين يديه
في تحقيق السلام، وسعادة البشر لذلك قام بحرقها وأعلن توبته، ومحاربته للشيطان
ووسائله الشريرة في محاربة الإنسان»⁽¹⁾.

ويرى باكثير أن السلام العالمي لن يتحقق إلا بالالتزام بتعاليم الدين التي تدعو إلى الحب
والسلام، ويتكاشف البشرية بمختلف أديانها ضد من يثير الحروب ويهدد السلام العالمي.
فهي مسرحية (إله إسرائيل)، التي تحكي مكائد الشيطان خلال العصور لإثارة الحروب
والشروع في العالم، تنتهي المسرحية بصوت عيسى ومحمد وجبريل عليهم السلام⁽²⁾:

الشيطان الأول: وي! يشبه صوت عيسى!

الشيطان الثاني: أجل هذا صوت عيسى! (يسمع صوت ثان)

الشيطان الأول: وهذا كأنه صوت محمد!

الشيطان الثاني: بل هو صوت محمد!

إبليس: (تأثيراً في غيظ) كلا كلا! لقد هلك عيسى ومات محمد!

(يسمع صوت ثالث).

الصوت الثالث: رويدك يا إبليس! الكلمة لم تتم!

(1) البابكري، أبوبيكر: السلام العالمي في مسرح باكثير، مرجع سابق، ص 15

(2) باكثير، علي أحمد: إله إسرائيل، مكتبة مصر، د. ت، ص 157-158

اسمع يا جبريل! لن تهزمني الكلمة.. أنا فوق الكلمة!
إبليس:

استمع إليها إذن!
الصوت الثالث:

كلا لن أستمع! قد محوت الكلمة!
إبليس:

الأرض والسماءات تزول وكلماتي لا تزول!
الصوت الأول:

إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون!
الصوت الثاني:

طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يدعون!
الصوت الأول:

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان إنه لكم عدو مبين!

(يستولى الهلع والخوف على إبليس وشيطانيه فيسدون آذانهم بأصابعهم ويغمضون عيونهم)

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام!¹
ويرى باكثير أن التوراة الحقيقة غير المحرفة لا تختلف عن الإنجيل والقرآن في
الدعوة إلى السلام. يقول اليهودي (جيم) بطل مسرحية (التوراة الضائعة)، في نهاية
المسرحية⁽¹⁾:

جيم: (كأنما تقمصته روح سماوية فهو يقول متربنا
كتابان سماويان.
إلى الله يدعون.
وإلى التقوى والإيمان.
وإلى البر والإحسان.
والخير لبني الإنسان.

(1) باكثير، علي أحمد: التوراة الضائعة، مكتبة مصر، د. ت، ص 123

دون فرقان بين أجناس وألوان.

لا ريب أن توراة موسى تتبع من حيث ينبعان.

وتدعوا إلى ما يدعوان.

ألا إن مصدر الوحي واحد ليس له ثان.

من قلب الرحمن!

إلى ضمير الإنسان.

وفي حالات النزاع، يرى باكثير اللجوء إلى الهيئات الدولية والمنظمات العالمية لحل هذه النزاعات، بدلاً من اللجوء إلى الحروب والعنف. ففي مسرحية (شيلوك الجديد)⁽¹⁾، يقول ممثل الجامعة العربية في المحكمة الدولية التي عقدت لحل قضية فلسطين:

فيصل: أيها السادة:.. أحب أن أذكر الاثنين معاً أتنا لسنا في موقف نتقاخر فيه بقوه السلاح، أو نتนาصر فيه بالشجاعة الحربية، فلنذكر جميعاً أتنا في مطلع عهد جديد وقع فيه ميثاق الأطلنطي، وببحثت فيه قرارات مؤتمر دومبارتون أوكس، وعقد فيه مؤتمر سان فرنسيسكو لضمان الأمن الدولي. وكلكم يعلم أن أسلاقنا الميامين من العرب قد حملوا السلاح في الماضي لإقرار الحق والسلام في الأرض. وقد تغيرت الأوضاع اليوم، فعلى أحفادهم أن يغدوه ليساهموا بنصيبهم في خدمة هذا الغرض نفسه.

خاتمة:

وهكذا رأينا أن الدعوة إلى السلام المحلي والعالمي تقع في الصميم من أعمال باكثير. وأنه قد تناولها في الكثير من رواياته ومسرحياته. وهو يرى أن السلام المحلي يتحقق بالتعايش والتسامح بين أبناء الوطن الواحد على اختلاف معتقداتهم وطوابعهم. وأن السلام العالمي لن يتحقق إلا يوم تبلغ الإنسانية رشدها وتدرك أن عليها أن تستخدم العلم في سبيل رفاهية البشرية وسعادتها وتحقيق التعايش السلمي بين أفرادها، ولا تستخدم العلم لإخضاعها وسيطرة عليها. ويوم يعيش الناس سوية لا يستبعد أحد أحداً، ولا تحتل دول دولاً أخرى.

(1) مسرحية سياسية نشرت سنة 1944

الفن من أجل السلام

د. أمل عايد الأحمدی (السعودیة)

الفن من أجل السلام

«الفن من أجل السلام» مبادرة رائدة انطلقت إيماناً بأن الفن رسالة إنسانية سامية تناطح جميع الأجناس. كما أن للأدب - بجميع أجناسه من شعر ونثر وقصة ورواية ومقال - دوراً بارزاً في ترسیخ قيم التسامح وثقافته، والدعوة إلى السلام؛ لرفع الوعي لدى الشعوب، ونشر ثقافة السلام والتسامح بينهم بعدة لغات، فإن الفن التشكيلي لغة عالمية متعارف عليها، لاحتاج إلى ترجمان، في تأدية رسالة الفن.

وأرى أن الفن التشكيلي هو التعبير بصمت لإحداث التغيير المنشود للواقع المشحون بالصراعات والحروب والانقسامات العرقية والحزبية والتحزبية، وذلك من خلال لوحات فنية إبداعية، تبعث رسائل عالمية قوية؛ لتعزيز فضيلة التسامح، وغرس قيم التعاون واحترام الآخر وقبوله؛ لتمكين السلام والإسهام في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الخصم؛ حيث يتجاوز الفنان حدود الزمان والمكان، ويتفاعل مع المجتمعات والثقافات المتعددة، في التعبير عن الواقع بصور فنية جمالية، تغني عن الكلام.

والمتأمل في تاريخ الفن التشكيلي يجد أن فكرة الفن من أجل السلام تجسدت في لوحة للفنان بيكانسو (1937م) عبر فيها عن غضبه من الحرب غير الإنسانية من خلال اللوحة التي رسمها إثر الاجتياح الألماني لمدينة «غورنيكا» في الحرب الأهلية الأسبانية.

وفيما يأتي استعراض لبعض المبادرات الإنسانية البارزة للفن من أجل السلام التي شارك فيها مجموعة مميزة من الفنانين التشكيليين؛ ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - مبادرة البحرين الدولية «الفن من أجل السلام» (1991م) التي شارك فيها نخبة من

الفنانين، من عدة دول، بلوحات فنية معبرة عن السلام؛ إيماناً منهم بأن الفن رسالة للسلام. وقد عبر أحد المشاركين قائلاً:

«إن دور الفنان هو إرساء ثقافة السلام من خلال اللوحة، وكيفية توعية النشء على مفهوم التعايش عن أمله بأن لا يكون السلام مجرد حلم بل يكون واقعاً يعيشه العالم معرباً، وأن الجميع سواء في هذا الكون، المسلم بين الأديان أجمع».

وتصدرت دولة الإمارات العربية المتحدة المشهد لكونها أنموذجاً متقدراً، وعاصمة للتسامح والتقاء الحضارات، وذلك بإطلاق عدة مبادرات للفن من أجل السلام، من خلال إقامة معارض ومنتديات فنية داخل الإمارات وخارجها، مثل: معرض «الفن في الإمارات يتعد من أجل السلام» (2003م)، كما شاركت في معرض «أعمال فنية من أجل السلام» (2009م) في نيويورك، وكان الهدف تعزيز قيم التفاهم والتسامح بين الشعوب والأمم، وكان للأطفال دور محوري في المشاركة.

كما أقامت معرض «السلام من خلال الفن» بشكل دوري في أرضها وفي الصين وبيروت، بمشاركة عربية ودولية؛ لبناء جسور الصداقة والمحبة والتعايش بسلام.

وعلى الصعيد الدولي يعكس ملتقى النمسا «الفن من أجل السلام» (2016م) التأثير الإيجابي للفن التشكيلي في توعية الشعوب، ورقى المجتمعات برسومات معبرة عن السلام؛ حيث شارك عدة فنانين تشكيليين من نحو 11 دولة برسومات معبرة عن السلام،

في السعودية، بمدينة جازان، أقيم معرض للفن التشكيلي بعنوان «ألوان السلام» (2018م) ضم لوحات فنية، وصوراً فوتوغرافية، بمشاركة فنانين محترفين؛ للتأكيد على ضرورة التسامح والتعايش بسلام.

وفي مبادرة غير مسبوقة نجحت مدينة الثقافة والسلام «تعز/اليمن» في جعل العالم يرسم من أجلها ومنها وفيها تحت شعار «العالم يرسم في تعز السلام والثقافة» (2019م)، في صورة جميلة من صور الإبداع التشكيلي، شارك فيها نجوم الفن التشكيلي من عدة دول عربية وغربية.

مؤخراً شارك عدد من الفنانين في ملتقى «سلام السعودية» (2019م) لتجسيد رسائل المملكة الإنسانية؛ حيث قدموا عدداً من اللوحات الفنية التي تنبذ العنصرية، وتوّكّد على أن الفن التشكيلي يعد أحد لغات العالم الحضارية لنشر رسالة السلام بين الشعوب.

والمجال لا يتسع لذكر جميع مبادرات «الفن من أجل السلام» ولكن نؤكّد على أن الشعوب ب مختلف جنسياتهم ودياناتهم وأعراقيهم وانتماءاتهم الثقافية والسياسية، يتوقّون إلى السلام والاستقرار والأمان. كما نؤكّد على أهمية تطوير الفن، وتفعيل دوره في الارتقاء بالمستوى الثقافي لدى الشعوب، ومن ذلك إرساء ثقافة التسامح، ونبذ التمييز والعنصرية والكراهية، وبث روح الأمل والتقاول والتعاون والتكافف؛ من أجل أن ينعم العالم بالسلام.

أمنيات السلام

د. نعيمة أحمد الغامدي (السعودية)

أمنيات السلام

اللهم أنت السلام

ومنك السلام

وإليك يعود السلام

أهينا ربنا في ديارنا

فتحن نحب الحياة

نصبو لنور السماء

نحن زهور السلام

فوق الغصون يشدو الحمام

أغنيات المحبة للأئم

فالليل رعد

الشرق ومضات وبرق

والغيب سالم خفية

فأنجنا يا رب

وخذ بيدها لتدريب الوئام

فسبحان من سَلَمٌ من كل عيْبٍ ونقصٍ

ومن كل نِدٍ.... شبيهٌ

سبحان من سَلَمٌ في ذاتهِ

بنوره وجلالهِ

وسبحان من سَلَمٌ عبادهِ من ظلمهِ وعدايهِ

يا من أفاض علينا أمانا... سلامٌ

سبحان من في القلب يهدى السلام

يملئنا صفاءً... وئام

سلامنا للفرد والجمع «سلام»

يا من كتابك سلام.... سلامٌ

دعانا لبذل السلام

ورد السلام

لنحيي.... ويحيا السلام

لمن عرفتم

ولم تعرفوا

تعالوا لننشد

للسلام والأمان

كفانا حروبا.... كفانا حطام
أما آن الأوان...ليشدو الحمام
على غصن السلام

أعذب ترانيم الحب والسلام

فارزقنا اللهم قلباً يملؤه السلام
وأوطاناً يزيّنها السلام
سلام عليكم
وعلينا السلام

عالمة الإسلام

أ. نادية عبدالوهاب خوندنة (السعودية)

عالمة الإسلام

«من حماقة الإنسان في دنياه

أن يتغضب كل منا لما يراه

إذا الإسلام كان معناه أن لله التسليم

فإننا أجمعين، نحيا ونموت مسلمين»⁽¹⁾

الإسلام هو دين حوالي 1.8 مليار من سكان العالم، ولربما غابت الحقيقة التالية عن الكثيرين وهي وجود أساسيات كثيرة ومهمة مشتركة بين الإسلام والأديان السماوية السابقة، وفي الواقع فإن المسلمين يؤمّنون بأن جميع الرسالات السماوية تلتقي في جوهرها، وصميم عقيدتها بتوحيد الله عز وجل، وبالطبع فإن وجهة النظر الإسلامية هذه تستند على ما ورد في محكم التنزيل بأن إخلاص سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لعبادة الله وتَوْحِيدِه لله وحده جعله مستحقاً لوصف القرآن الكريم له بأنه مسلم حقاً: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (آل عمران: 67).

كذلك فإن ما كان يجب أن يقرب أكثر بين الإسلام والمسيحية هو ما يؤمن به المسلمون باعتراف عيسى - عليه السلام - بعبوديته واستسلامه لخالقه عز وجل «قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنينبياً» (مريم: 307).

كما أن من أركان الإيمان، الإيمان بالرسل جمِيعاً، وقد حملوا لأقوامهم رسالة التوحيد الخالصة.

(1) جوته، الديوان الشرقي للشاعر الغربي - الأبيات 1-4، ص 86.

ومما تميزت به رسالة سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- أن الإسلام أرسل للبشرية جماء وللإنسانية كلها بكل رحابتها، وتعدد أعرافها وأجناسها وليس فقط لقومه من القبائل العربية.

وقد وصف الله عزوجل نبى الإسلام ورسوله بأنه قد أرسله «رحمة للعالمين» (الأنبياء: 107) لأن الإسلام دين العالمية بما تدعوه إليه مبادئه السمحنة من قيم التسامح الجوهرى وروح السلام لكل البشرية، ومن هنا كان أيضاً مبدأ عدم الإجبار على اعتناق الإسلام «لكم دينكم ولـي دين» (الكافرون: 6).

وبذلك تستطع الحقيقة التي تند مزاعم الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف بينما في المنبع الصافي هودين يبحث المسلمين على العدل والقسط مع الجميع والابتعاد عن العنصرية التي ينفر منها بوصمها من خصال الجاهلية لأن المعيار الإسلامي للمفاضلة هو التقوى وليس اللون أو العرق؛ فقد كان العديد من صحابة الرسول العربي القرشي -صلى الله عليه وسلم- من غير الأصول العربية، مثل: سلمان الفارسي، وصهيب الرومي ولا ننسى زواج الرسول الكريم من مارية القبطية -رضوان الله عليهم أجمعين-.

الحبيب المصفى - صلـى الله عليه وسلم- هو القدوة المثلى للمسلمين، وما يدعو إليه الإسلام من مبادئ التسامح والسلام فقد رأى الصحابة تطبيقه العملي في أقوال وأفعال الرسول الكريم، وتحفل سيرته العطرة بالكثير من الأمثلة المهمة للمسلمين في كل زمان ومكان، فنجد - على سبيل المثال - أنه حينما اشتد أذى كفار قريش له ولأتباعه في مكة هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة طلباً لجوار ملك الحبشة النصراني، التجاشي وحمايته، وهو الذي عرف بعدله وكرم أخلاقه؛ حيث لم يرض بتسليم المسلمين المهاجرين وإعادتهم، وقد أعطاهم الأمان، ودخلوا في حمايته، وهذا مثال واضح على إباحة الإسلام لإقامة العلاقات الإنسانية الطبيعية مع الجميع.

ومن ناحية ثانية، عنى الرسول -صلـى الله عليه وسلم- بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وما يمكن أن نطلق عليه بالصطلاحات العصرية (الطرق الدبلوماسية)؛ حيث أرسل مبعوثي السلام برسائل دعوته إلى الإسلام إلى أقطاب السياسة وعظمائها في تلك الحقبة، مثل: قيصر الروم وملك الفرس ومقوقس مصر.

ومن البدائي أن يعجب المسلمين بالأخلاق الفاضلة التي تجسدت في شخصية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهو الذي مدح في القرآن الكريم بحسن خلقه وخلود رفعته إلى يوم الدين، ولكن نجد أيضاً أن بعض المنصفين من الغربيين ومن خلال دراساتهم وأبحاثهم التاريخية والإنسانية قد تجلّت لهم بوضوح سمات الرحمة والتسامح والأبعاد الأخلاقية لشخصية الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن هؤلاء الكتاب المستشرق والفيلسوف الألماني يوهان غوتيريد هردر(1744-1803)، وأعظم أدباء ألمانيا يوهان ليفنانج جوتة (1795-1881)، والكاتب الفيكتوري توماس كارلايل، وهو من تأثروا بإعجاب جوته الكبير وإنصافه لشخصية النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وكذلك من الكتاب الغربيين المعاصرين الذين أظهروا في نتاجهم الفكري بجلاء وتجدد الجوانب المضيئة لسماعة الإسلام والتي جسدتها أخلاق نبي الإسلام، المؤرخة المتخصصة في الدراسات اللاهوتية كارلين ارمسترونغ (1944).

كذلك فإن المتمعن في كيفية وصول الإسلام وانتشاره إلى مناطق جنوب آسيا على أيدي التجار العرب لهو من الأمثلة التاريخية والشواهد الحية على حد الإسلام وتأصيله لأخلاقيات التعايش السلمي والتسامح بين الأمم، فقد انطلق أولئك التجار من حضرموت إلى الشرق الأقصى بداعِيَّة ذاتية واقتصادية، سعيًا وراء الرزق واكتشافاً لمحطات جديدة لعلاقات تجارية، وقد عرف الحضارم بنجاحهم الكبير في الاقتصاد والتجارة على مر العصور وحتى وقتنا الحالي.

وقد كان لتحليلهم بالأخلاق الإسلامية الحسنة وتعاملهم الراقي النبيل أكبر الأثر في إعطاء صورة مشرفة ومشرقة عن عقيدتهم مما أدى إلى اعتناق الكثيرين للإسلام من سكان جزيرتي جاوة وسومطرة والعديد من الجزر الأخرى خلال القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي⁽¹⁾، ويشكل المسلمون الآن الغالبية العظمى من السكان، وقد أصبح الكثيرون من أحفاد المهاجرين، التجار الحضارم، جزءاً لا يتجزأ من التركيبة السكانية للبلاد، وفي مناصب عليا في مختلف القطاعات من التعليم والسياسة والاقتصاد.

(1) Role of Merchants in Spreading Islam. 08.06.2012. Dawa Skills. <http://www.dawahskills.com/torchbearers/role-of-merchants-in-spreading-islam>. Accessed 17.03.2019.

أما آخر شواهدنا على عالمية الإسلام وتطبيق أتباعه من المسلمين للمبادئ الإنسانية النبيلة من قيم التسامح والسلام وحرية الأديان فهو ما حدث مع مشارفة القرن الخامس عشر على الرحيل، وتحديداً عام 1494 عندما أضطرآلاف اليهود للخروج من إسبانيا، بعدهما كانوا متعمدين بالأمان والسلام والتعايش المثالى بين الأديان السماوية الثلاثة في ظل العدل الإسلامي في الأندلس كما تصفه أحد المراجع الغربية بحيادية: (لقد كانت فترة الحكم الإسلامي في إسبانيا العصر الذهبي للعلم حيث انتشرت الكليات والمكتبات والحمامات العامة وازدهرت فنون الشعر والأدب والهندسة المعمارية، وذلك بإسهامات والعطاء المشترك للمسلمين وغير المسلمين كما أن تلك الفترة كان عصرًا ذهبياً للتسامح الديني والتعايش السلمي بين جميع الطوائف العرقية فكانت النتيجة هي رسوخ السلام وسيادته بين المسلمين والمسيحيين واليهود) ⁽¹⁾.

ولكن تغيرت الأحوال وانحدرت الأوضاع بعد قرون من السلام والرخاء حينما أفلت شمس الحضارة الإسلامية بسقوط الأندلس، وتعرض المسلمين واليهود للتعذيب فيمحاكم التفتيش وبصدور قرار «الحرماء» لفرديناند وايزابيلا طرد جميع اليهود من إسبانيا.

وعلى عكس ظلم وتعسف محاكم التفتيش فقد أظهر السلطان العثماني بايزيد الثاني تعاملأً إنسانياً رائعاً وكarmaً أخلاقياً مستمدأ من تسامح الإسلام وعلميته لإنقاذ اليهود المطرودين بمنحهم حق اللجوء للبلاد الإسلامية التابعة للإمبراطورية العثمانية، ومن ثم كان بإمكانهم خيار العيش والاستقرار في تركيا أو فلسطين أو سوريا أو مصر وغيرها.

إن كل هذا الجمال الأخلاقي لقيم الإسلام ومبادئه الأصيلة والذي يتشارك في إرثه الإنساني مع الديانات السماوية الأخرى لما فيه استقرار البشرية وسعادتها، كل ذلك مخلد ومحفوظ بحفظ الله للقرآن الكريم، وفي راقد الشريعة الإسلامية الثاني، السنة النبوية المطهرة.

و عليه فإن خالف سلوك بعض المسلمين هذه التعاليم الإسلامية الخالدة فقد يكون مرد ذلك إهمال اتباع أو تكبر وعناد أو سوء فهم وتفسير خاطئ للنصوص أو أي سلوك ناتج من نقيصة بشرية، أما الدين الإسلامي ذاته فهو على المحجة البيضاء الصافية الظاهرة كما بلغه جبريل لنبينا -عليه الصلاة والسلام- منذ خمسة عشر قرناً، وسيظل كذلك حقيقة جلية وثابتة إلى قيام الساعة.

(1) Muslim Spain (711-1492). 04.09.2009. http://www.bbc.co.uk/religion/religions/islam/history/spain_1.shtml. Accessed 15.02. 2019.

القُصَاد

لوحة السلام

د. أحلام منصور الحميد القحطاني (السعودية)

وعلى ضياء نواذبي غنى الحمام..

وتسابق الصبح المغرّد فوق أشعاري؛ ليرسم لوحة الإلهام والأحلام والإنسان..
حين تضممه شرف التسامح والوئام

وتتوقّف نفسي للسلام.. لأنّها خلقت على وتر السلام..

ولأنّ قلبي أبيض القسمات.. منذ الصرخة الأولى..
وحتى اليوم وهو يُدوّزن الألحان.. في كنف الغمام..

ودخلت معركة الحياة..

كسبت بالأخلاق كل حروبها
ورميت من قوسي السهام..
وبقيت فوق غصونها..

أشدو

كما غنى الحمام ..

أشدو كما غنى الحمام

يا أيها الساري تعال وخذ تراتيل الغرام

وانشر ضياء محبتي ..

قد يهزم الصمت الكلام

كُن مشرقاً في داخلي ..

فأنا أخاف من الظلم

وأنا أخاف من الضجيج

من التجبر والسلام

أمسك يدي برقه

وليغمر الكون السلام ..!

لُجَّةُ الْأَخْتِضَان

أ. إيمان خالد البهنسى (سوريا)

هَاتِ حِضْنَكِ
لِيُدْفَئُ الشَّمْسُ
وَأَمْوَاجُ الْبَحْرِ
تَصَافَحُ الصَّحْرَاءُ
هَذِهِ النَّجْمَةُ
تَرَقَّبُ التَّلَةَ الْحَمْرَاءَ
نَاعِسَةً لِتَغْفِفُ عَلَيْهَا قَلِيلًا
فَشَقَّوْقُ الْأَرْضِ
وَلَهُ لِحَبَّاتُ الْمَطَرِ
وَسَلَامٌ مِنَ الْغَيْبِ
يَصْفَحُ وَيَصَافِحُ الْفَعَامِ
وَحِيطَانُ الْمَدَارِسِ
عَطْشَى لِرَسْمِ الصُّفَارِ
وَرَبِيعُ جَنِينِ
يُولَدُ مِنْ رَحْمِ الشَّتَاءِ

.. هاتِه ..

لنلملم شَظَايَا

أشْياء عَلَقْتُ حُنُوا

عَلَى جُدُرَانِ الذِّكْرِيَاتِ

تَدِقُّ أَجْرَاسِ السَّلَامِ

تَقْمُرُ بِرَاعِمِ

الْيَاسِمِينَ الْجَرِيَّةَ

وأَكْبَادَا لِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ

أَوراقِهَا مَاتَتْ ذَبِيحةً

هَاتِه لِنفَعِ الْمَزَهِرِيَّةِ

بِعْقَبُ حُبِّ الزُّهُورِ

وَأَحْكَمَ لُجَّةَ احْتِضَانِكَ

بِخَلْجَاتِ رَوَايَا تَلَظَّتْ

بِأَوْرَدَةِ حُمْرِ الْخَوَابِيِّ

وَأَغْمَرَ بِجَسْدِيِّ الْفَرَحِ

لِيمْطِرَ لَائِ

وَاحْتَوِيَ عَوِيلَ الْوَجَعِ

.. هُنَاكَ ..

وَغَلَبةُ الْأَهْلِ لِتَسْتَفِيقِ

جَنَازَاتِ الْفَرَاغَاتِ الْمَنْقُطَةِ؛

دَعْنَا نُسَافِر لِلْسَّلَام

نَحْجَز تَذَاكِر التَّسَامُح

بَعِيدًا عَنْ خَيَّامِ الضَّبَاب

فَدْخَانِ الْقَارَّات

تَجَاؤزَ الْمَدَى

وَهَذَا الْقَتِيل مَلَأَ جَوَيْنِ

لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمْل

وَلْجَةُ تُحَيِّي الدَّمَار

مِنْ هُنَا عَبْقُ السَّلَامِ

وَخُدُودٌ تَبْسَمُ لِلتَّسَامُح

تُشْعِلُ جَمْرُ الصَّقْبَعِ

فِي لَحْظَةِ احْتِضَارِ

تَرَاقِصُ حَبَّاتِ الثَّلْجِ

تُعِيدُ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ

تُطْفِئُ غُبَارَ الْبَارُودِ

بِنَسِيمِ عَطْرِ الْرُّوْرُودِ

وَعَبْقِ الْأَمَانِ

وَلنَّقَاءُ

... لِلْحُدُودِ

.. هَاتِه ..

نُهْدِي الْأَكْوَانِ مِنْكِ

.. تسامحا .. وسلام ..

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ خَالِقُ الْأَسْمَاءِ

مِنْ صَرْخَةِ أُمِّ تَاجِيكِ السَّلَامِ

مِنْ لُجَّةِ عَشْقِ الْوَطَنِ

الأرض.. فقاعة الأحزان

جاسم الصحيح (السعودية)

في الشِّعْرِ ما يكفي من الإيمان
لِأكونَ لِلدُّنْيَا (مسيحًا) ثانِي
مقدارَ ما حَرَثَ الصَّلَبُ أَضالِعِي
نَبَتَتْ رُؤَىيْ وأَعْشَبَتْ أَوْزَانِي
في الشِّعْرِ ما يكفي لِأَوْلَدَ مَرَّةً
أُخْرَى، ولَادَةٌ فَكْرَهُ وَمَعْنَانِي
لِيَ مِنْ (جَلَالِ الدِّينِ) نَفْحَةٌ عَارِفٍ
لِيَ مِنْ فَؤَادِي آللَّهُ الْعَرْفَانِ
وَلِيَ (الْمُوسِيقِيَّ) أَسْتَشْفُ بِرُوحِهَا
رُوحُ السَّمَاءِ وَجَوَهِرُ الْأَدِيَانِ
كُلُّ الْكَلَامُ مُمَوَّهٌ بِدُخَانِهِ
إِلَّا كَلَامُ الْحُبِّ دُونْ دُخَانِ
الْحُبُّ حَلَفَنِي بِالْأَلَّ أَتَرَكَ الـ-
تُفَاحَ مُصْلَوِيَاً عَلَى الْأَغْصَانِ

والحبُ صَوْقَتِي فصِرْتُ أذوْقَهُ

وأَقْبَلَ الأَحْزَانَ بِالْأَلْحَانِ

هذِي الْحَيَاةُ عَلَى امْتِدَادِ جِرَاحِهَا

شَدَّدَتْ بِأَحْزَمَةٍ مِنَ الْحَرْمَانِ!

لَمْ تَلْقَ فِي التَّارِيخِ خَنْجَرَ زِينَةٍ..

كُلُّ الْخَنَاجِرِ أُمَّهَاتُ طَعَانِ!

وَالْحَرْبُ.. هَا هِيَ سَلْعَةُ الْوَقْتِ الَّتِي

أَبَدًا تُبَاعُ بِأَوْحَشِ الْأَثْمَانِ!

الْحَرْبُ تَرْحَفُ فِي الزَّمَانِ فَلَا نَرَى

إِلَّا رَفَاتَ دَقَائِقٍ وَثَوَانِي!

الْحَرْبُ تَرْحَفُ فِي النُّفُوسِ فَلَا نَرَى

فِي النُّفُسِ غَيْرَ جَنَازَةِ الْوَجْدَانِ!

الْحَرْبُ تَرْحَفُ فِي الْمَجَازِ فَلَا نَرَى

فِي الْخَبِزِ غَيْرَ مَظَاهِرِ الْأَكْفَانِ!

وَالْحَرْبُ تَرْحَفُ فِي الْوِجْدَوْنِ فَلَا نَرَى

فِي الْأَرْضِ غَيْرَ فَقَاعَةِ الْأَحْزَانِ!

أَمَّا السَّلَامُ فَمَا يَزَالُ مَلَاكُهُ

خَلْفَ الْغَيَوبِ مُشَمِّرُ الْأَرْدَانِ

يَرْنُونِ.. لَعَلَّ الْأَرْضَ -ذَاتَ هَدَايَةٍ-

تُهَدِّيهِ شَارَةُ زَائِرٍ وَلَهَانِ!

وَنَظَلُّ نَحْنُ نَنْوُءُ بِالْطِينِ الَّذِي
مَا زَالَ يَأْمُلُ رَحْمَةً (الْطَّيَّانِ)
صَلَوَاتُنَا غَزَلٌ قَدْ ابْتَكَرَ الْهَوَى
مَا بَيْنَ صَوْتِ الْحَقِّ وَالْأَذَانِ!

فَإِذَا انْطَوَى الْإِنْسَانُ طَيْ صَحِيفَةٍ
سَنَظَلُّ نَحْرُسُ فَكْرَةَ إِنْسَانٍ
سَنَظَلُّ نَحْلُمُ بِالْمُسِيحِ مُضَاعِفًا
أَضْعَافَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْطَانٍ!
سَنَظَلُّ نَعْصِي الْحَرَبَ فِي شَهُوَاتِهَا
وَنَصْوُغُ أَسْلَحَةً مِنْ الْفَغْرَانِ!
سَنَكُونُ صُوفِيَّينَ فِي عَصِيَاتِنَا
لَنَذُوقَ طَعْمَ الْحُبُّ فِي الْعَصِيَانِ
وَنُحْبِبُ حَتَّى تُسْتَحِيلَ عَظَامُنَا
رِيشًا، وَتُسْقِنُ فَكْرَةَ الطَّيَّانِ!
وَنُحْبِبُ أَكْثَرَ فَالْزِيَادَةِ فِي الْهَوَى
وَالْحُبُّ، لَيْسَ تَوَأْمَ النَّقْصَانِ!

من أرض السلام

أ.د. حسن الأمرياني (المغرب)

إنها تمطرُ في الليل ولا نجمَ على الأفق يضيء.

لا أنا أملك أن أعبرَ ماحاً إلى خيمة طاغورَ

ولا أنتَ إلى بستانِ إقبالٍ كشلالٍ تجيء.

وطريقُ النَّاسِ ليلٌ وجراحٌ

عزفت فيها الرّياحُ

فاحتملَ نصف الطريقَ

يا رفيقُ.

ينكشفُ دربُكَ عن نورِ وعن عهدٍ وثيقٍ

إذا ما جئتَ بابَ الله فاحذرُ

أن تدقَّ البابَ من غيرِ وضوءٍ

وتبتلَّ: إنني قد جئتُ من أرضِ السلامِ

فادعوني ربِّ إلى دارِ السلامِ

إنه أنتَ السلامُ.

كنَّ آدماً⁽¹⁾

أ. حسن شهاب الدين (مصر)

كُنْ آدماً..

وتعلَّمِ الأسماءَ

وابسُطْ يديكَ..

وعانقِ الأشياءَ

الأرضُ أنتَ الأبجدية..

فارتجلْ

وطَنَ القصيدةِ

وابتكِرْ.. حَوَّاءَ

وخذِ الْحَيَاةَ لِنَزَهَةٍ

واقْطُفْ لها

مِنْ كُلِّ ظلٍ..

وردةَ سِمَراءَ

واتركْ دُمَى الصحراءِ

(1) من ديوان (طفل يركض في الأساطير) الصادر عن دائرة الثقافة بالشارقة.

دون طفولة

فوق القصيدة

وحطّم الصحراء

كُنْ مَرَّةً

عُشَّاً

لطير سرابها

وأرّح هجيراً مُتّعباً

وعراءً

حلّق معي في العُشبِ

فهُوَ مَجْرَةٌ

لنكونَ نحنُ

نجومها الخضراءَ

وافتحْ شبابيك الهديلِ

بأحرفيٍّ

فقد اقترحتُ حمائماً وسماءً

كفّاكَ ..

أشرعةُ الغيابِ

وزورقي ..

نزفَ الضفافَ

إلى يديكَ وجاءَ

هذا أنا المرأة..

فأعبر ساحلي

لترال

حين بمائها

أتراءى

جرب..

وكن مطرا

ومر بشرفتي

وأنا..

سينسجني الحنين رداء

كُنْ خربشات طفولة

من شاعر

حتى أكونك..

صفحة بيضاء

في البدء كان الحلم

نصقل كوكبا

بدموعنا

حتى يسيل غناء

نأوي إلى شجر

يظلل ليلنا

كِي لَا يَاغْتَنَّ الْحَنِينُ

مساءً

طفلانِ نحنُ

على رصيفِ قصيدةٍ

يتبادلانَ الظلَّ والأضواءَ

يكفي قصائدنا

دموعُ فراشةٍ

في إثرنا

كِي لَا نُرِي غرباءَ

نحِيَا ..

نعم نحِيَا

لأنَّ سحابةً

دقَّتْ على بابِ القصيدةِ

شتاءً

وتبلَّكتْ باللا يُحدَّ

شفاهُنَا

عسلا إلهي المذاقِ

وماءً

هَا نحنُ .. فاتبعني

سانصبُ خيمةً

تسع الحياة

وتحتوي الأنهاء

لي ما نهر

سار فيه مسيحه

فانشق ثوب الماء منه

حياة

آخيت ..

بين الكائنات

وأحريف

فغدا الوجود بأسره

شعراً

وحديقة الصمت

ارتكتبت مجازها

فتفتحت

وتكلمت إيحاء

أعلنت فوضاي الجميلة

صفت من

ألوانها

ما يدهش البساطة

لي أسوة بالضوء

في أطواره

مُذ كانَ ضحكةَ طفلةً لشغاءَ

حتى قرأتُ الصبحَ

في مخطوطهِ

لم تكتملْ

وعلى يديِّ أضاءَ

لم أبتكرْ للأبجديةِ

أحرفاً

لكنْ ..

عبرتُ بأفقةِها

استثناءً.

لو بني جسرا

ساجدة الموسوي (العراق)

هاتي الشّذا.. هاتي النّدى

هاتي الحنان

لكي نقيمَ أروعَ الجسورِ

جسراً فريداً ليس في الوجودِ مثله

ولا أقام شبههُ المهندسونَ

عبر سالف العصورِ

من (خردة) السلاحِ نبني ظهرهُ

كي تتحنى الحروب

أفريزهُ من ذهب الشّمسِ صُحٍّ

مطعماً بالصدف الهنديّ والفيروز

حافاته عرائشُ الزّهورِ

بريقهُ النّجومُ

والعقيقُ والبلور

هيّا لكي نقيمَ أروعَ الجسورِ

قالت : وأين يا ترى نقيمهُ

أفوقَ دجلةَ المهيّبِ أم على الفرات؟

أَمْ فَوْقَ نَهْرِ السَّنْدِ أَمْ عَلَى السَّحَابِ؟
أَمْ بَيْنَ غَابَاتِ السَّمَاوَاتِ عَلَى ذرَى الْجَبَالِ؟

لَا... لَا فَوْقَ هَذِهِ أَوْ تِلْكِ
بَلْ بَيْنَ قَلْبِ الْأَرْضِ فِي الْجَنُوبِ
وَمَرْكَزِ الْقَرَارِ فِي الشَّمَاءِ
مَا بَيْنَ قَلْبِ جَائِعٍ فَقِيرٍ
وَبَيْنَ قَلْبِ مَتْخَمٍ مَغْرُورٍ
مَا بَيْنَ تَاجِرِ السَّلَاحِ الْمَنْحَرِفِ
وَطَفْلَةٍ لَوْرَأْتِ السَّلَاحِ تَرْجَفِ

نَقِيمُ جَسْرًا مِنْ رَهَافَةِ الْمَشَاعِرِ
وَرْقَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَحَلَامِ وَالْتَّوَاظُرِ
كَيْ نُوقِفَ الْحَرُوبَ وَالدَّمَارَ
كَيْ نَبْنِي السَّلَامَ
وَنَهْزِمَ الظَّلَامَ

هَاتِي الشَّدَا هَاتِي النَّدَى
هَاتِي الْأَمَانَ لَكِ نَقِيمُ جَسْرَنَا الْجَدِيدَ
لِيَعْبُرَ الْإِنْسَانُ
لِعَالَمٍ لَا ظُلْمَ فِيهِ لَا حَرُوبَ لَا طَفَيَانَ
لِعَالَمٍ مِنَ الشَّدَا مِنَ النَّدَى
مِنَ الْحَنَانِ

أخي

أ. سعيد الصقلاوي (سلطنة عُمان)

يا أخي

في كل دار

كيفما كنا سواه

وأخي

قلباً وروحًا

في هناءٍ أو عناءٍ

لـك دين

لي دين

كلنا حر يشاء

ليس للون امتياز

ليس للجنس انتقاء

إن دين الله حب

سلام

واخاء

يتساوي الناس فيه

كلهم

طينٌ وما

كل نفسٍ

هي كون

وحياةً

وضياءً

فصن النفس لتحيا

لا تكلها للفناءُ

يا ابنَ أمِي

وصديقي

وربيبَ السمحاءِ

أمنا الأرض

رؤوم

وهي فردوس العطاءُ

نحن إنسانٌ ابن إنسانٍ

خلقنا كرماءُ

بيننا الرحمة تمشي

وتتساقينا الوفاءُ

فاعمر النفس ودادا

واملاً العين سناء
تؤمن النفس بتقوها
وتركتو
بالحياة
يا أخي
إنك مني
وأنا منك امتناء
جحفل الشر توالى
في صباح
ومساء
أينما وليت وجهها
ستراه كربلاء
وفساد الأرض جهل
في نفوس الأشقياء
وعمار الأرض حسنى
به وصى الأنبياء
كيف ينفي بعضنا بعضا
ويستشرى الرياء
ولي الإسلام نهج
ولك النهج المضاء

ربنا الله

ولا نعبد

إلاه سواه

فابسط الكف حماما

أبسط الكف سماء

واشرب العمر صفاء

واسقني

فوبيا

د. شهاب غانم (الإمارات)

يُنهون الأطفال عن الأمراض الخوفية في شتى البلدان الغربية
عن شتى الأمراض «الفوبية»:
«الأكروفobia» والخوف من المرتفعات
«النوكтивوفobia» والخوف من الظلمات
«الليجيروفobia» والخوف من الأصوات
«الإنتموموفobia» والخوف من الحشرات
«البایروفobia» والخوف من النيران
«الكارسينوفobia» والخوف من السرطان
«الأوفيديوفobia» والخوف من الثعبان
«الهيليلوفobia» والخوف من الإصباح
«الفازموفobia» والخوف من الأشباح
الخوف من الأمكنة الضيقة.. من «الكلستروفobia»
ينهون عن الاستسلام لهذه «الفوبيا».. أو تلك «الفوبيا»..
فلمَّا يخشون الأطفال إذن بـ «الإسلاموفobia»؟

للمغدردين خارج الدب والسلام

أ. شيخة المطيري (الامارات)

للعاบรین ولی للناس للوطن

وللخرائط تحکی غصہ المدن

وللشتات وللجرحی ومن نزفوا

أحلامهم کی تصان الأرض بالکفن

وللقصیدة إذ تأتی بقافية

عرجاء شوهها ما كان من فتن

للبحر للموج للشطآن شاردة

أذهانها وهي تتسى موعد السفن

يجيء کلی ببعض الشعراً أسئلة

من أي خاصرة يا أنت تععنی

وكيف ثقفت رمحاً من عظام فمي

صنعته کی به يا أنت تسکتني

لن تحرق النار صوتي لن تكون سوى

برد فھاک ودع ناريک تحرقني

أنا الملايين من أحزان من رحلوا
أنا المسافات بين الخوف والسكن
أنا البداية فاقرارني على مهل
لتفهم الآخر الآتي وتفهمني
الصمت صار رغيف الأم قهوتها
والجوع يرمي بشر الضعف والوهن
هنا الصغار بقايا من طفولتهم
تجعد القلب ما أقساه من زمن
ماذا نريد؟ نريد الآن بعض سما
يحلق القلب فيها ثم يأخذني
وخلفنا سرب أطفال نطير معًا
يفردون على ناي من الفن
ضاق الفضاء من الآلام كيف لنا
يارب متسع في ضيق البدن
ماذا نريد سوى حلم نعيش به
نحيا كأن الذي قد كان لم يكن

سلام على السلام

أ. عبدالحميد القائد (البحرين)

واقفٌ في المرفأ النائي
يكاتب البحريحاوره بحبر سريٌ
الريح أوقفت الأشارة عن الحنين
لا الليل سامر ولا النهار صديق
لكن العتمة دعاء مقدس لسلام البلايل
وهي تهرع بعيداً عن أزيز القنابل
هل للليل مخابيء خفية مثل المعاطف
لتحمي ريشها البريء من غبار الحروب
أم يغمض الليل عينيه طلباً للأمن والأمان
آه من الحرب مبدعة الفجائع
ومطر الفصول وهو يهطل البراءة
ليغسل أجساد القتلى الأنقياء
وهل الأرض غير ماء وما
وضوء الشمس وهو يكشف عرى تجارها

هل للوقتِ جدرانٌ وللأزمنةِ أسرارُها
 كيف للعالمِ هذا الجنونُ المجنون
 ولهذهِي الحدودُ أخبارُها
 فكيف تنصتُ لوشوшаَ الدماءِ
 وهذا الحريقُ العظيمُ يُدمي رذاذَ الشَّغفِ
 وتلك القصيدةُ مشتاقةٌ للهزيجِ الجميلِ
 وحلمٌ يغنىُ يوتوبيا
 فكيف نسمعُ صمتَ الحُرُوفِ
 وكيف نصطادُ أخبارَها
 والصحائفُ شُرُوشَر
 فمن يأبهُ بالخطوطِ وألوانِها

دمٌ يتّكىءُ فوقَ هورةِ دمٍ
 كيف يستريحُ الرصاصُ دونَ همٍ
 وهل للأطفالِ ملجاً غيرُ قلوبِ البشرِ
 وهل للحروبِ بلادٌ ليسَ لهاً عواصمٌ
 وكلُّ هذِي القيودِ حولَ المعاصمِ
 كيف يُعيدُ العالمُ تشكيلةَ أضلاعِهِ
 دونَ أنْ يتهشمَ في هذا الوغى
 فالسلامُ كنزُ المواقِيتِ

والحبُ لا يُشتري

سَلَامٌ عَلَى السَّلَامِ الْبَخِيلِ

سَلَامٌ عَلَى النَّحِيلِ

وَهِي تَتَمَالِي مُحْجَّةً عَلَى مَا يُرَى

وَالْمَوْتُ الَّذِي مِنَ الْمَوْتِ مَا ارْتَوْي

سَلَامٌ عَلَى أَمْمَةِ الْعَرَبِ

يَا أَمْمَةَ الْبَلَاءِ وَالْكَربَلَةِ

غَدًا سَيَنْهَضُ الْأَطْفَالُ مِنْ وَرَدِهِمْ

يَنْقَشُونَ فِي سَمَاوَاتِنَا أَسْمَاءَهُمْ

لِيَهُطِلَ السَّلَامُ

سَلَامٌ عَلَى السَّلَامِ

أَحَبُّ السَّلَامُ

الفريق أ.د. عمر أحمد قدور (السودان)

أَحَبُّ السَّلَامُ.. لِأَنَّ نَبِيَّنَبِيَّ السَّلَامُ

أَحَبُّ السَّلَامُ.. لِأَنَّ نَدَائِي إِذَا الْكَوْنُ نَادَى سَلَامٌ سَلَامٌ....

أَحَبُّ السَّلَامُ لِأَنَّ دُعَائِي بِبَابِ الْجَنَانِ سَلَامٌ سَلَامٌ....

أَحَبُّ السَّلَامُ إِذَا الْمَرْءُ حَيًّا يَكُونُ جَوَابِيَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ....

أَحَبُّ السَّلَامُ فَخَاتَمَ قَوْلِي بَعْدَ صَلَاتِي إِلَيْكَ السَّلَامُ....

مِنْكَ السَّلَامُ....

فَأَدْخَلْنَا دَارَكَ.. دَارَ السَّلَامُ

وَهَنْتَ دِيَارَ جَدُودِي... وَأَرْضَ بَلَادِي دِيَارَ السَّلَامِ

وَعِنْدَمَا أَسَسْنَا آبَائِي الْأَوْلَوْنَ مَمَالِكَ لَا تَغْرِبُ الشَّمْسُ عَنْهَا.. فَكَانَتْ ذَوَابَةُ ذَلِكَ

بَغْدَانَ دَارَ السَّلَامِ.....

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ... وَأَنْتُمْ تَعِيدُونَ هَذَا الْأَرِيجَ الْبَهِيجَ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَادُونَ بِالسَّلَامِ أَهْلَ الْخَلِيجِ...

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصَوَّغُونَ بِالْحُبِّ وَالْعِلْمِ نَهْجًا وَشَيْجَ...

وَتَعْلُونَ رَأْيَةَ رُوحِ التَّسَامُحِ لَا بِالْوَعِيدِ وَلَا بِالضَّجِيجِ...

بل النهج نشر المحبة حتى يعم الرخاء المرجو...
وحتى نعيده إلى الكون وفق المحبة لحمة هذا التنسيج....
أحب السلام لأنني أحب الوجود أحب الأنام....
أحب السلام لأنني عدل يحب الوئام
أحب السلام لكي لا أرى آدميا يضام
أحب السلام لكي يبلغ الناس بالحب كل المرام...
فلا للخصام

ولا للتباغض بين الأنام
ولا للقطيعة وإن أثقل القلب سعي الطفاف....
أنا لا أحب الطفاف... وأعشق أبدا هديل الحمام...
أليس الحمام رفيق السلام
أمسنا رمزاً له بحمام السلام
لكي لا نجرع كأس الحمام
لكي لا نعرض بنان الندم
إذا أشعل الحقد ناراً ضرماً
إذا ظلّل الكون ليلاً للخصام
في فيما الخصام....

وقد فتح الحب باب السلام
لكي لا نظام... علينا بنهج الصحابة الكرام...
أدر خدك الأيسر وقل من آثر الصفح نلت المرام...
سلام عليك وقول رحيم... سلام سلام
عليك السلام
بعام التسامح عام السلام.

أغنية للحب والتسامح

أ.د. محمد أبوالفضل بدران (مصر)

ولماذا تَبْغِي أَنْ تَقْتُلَنِي؟

وَتُسَدِّدَ كُلَّ سَهَامِكَ فِي قَلْبِي؟

وَتُخَطِّطَ لِيَلَاتٍ كَيْ تَضَعَ شِرَاكَكَ لِمَا أَجْتَازُ طَرِيقِي؟

فَأَنَا إِنْسَانٌ مُثْلُكَ

أَصْحَوْ كُلَّ صَبَاحٍ مُنْتَشِيًّا بِالْفَرَحَةِ وَالشُّوْقِ

وَأَسْمَعْ مُثْلُكَ شَقْشَقَةَ الطَّيْرِ؛

أَغَارِيدَ الْفَرَحَةِ؛

أَهُوَ مُثْلُكَ فِي الْأَرْضِ

وَأَرْزَعُ فِيهَا وَرَدًا

فَلِمَادِا تَرْزَعُ فِيهَا لَغْمًا

وَلِمَادِا حِينَ أَمْدُ يَدِيَ إِلَيْكَ تَشَدُّ إِلَيْكَ زَنَادِكَ فَتَصَافَحْنِي طَلْقَةً !!

فَأَنَا إِنْسَانٌ مُثْلُكَ أَحْلَمُ بِالْحُبِّ وَبِالْأَرْضِ الْخَضْرَاءِ

لِمَادِا نَبْتَسِمُ إِذَا نَظَرَ الْأَطْفَالُ إِلَيْنَا؟

ظَنُّوا الْأَرْضَ جَمَالًا وَسَلَامًا حَتَّى كَبَرُوا،

أَلْفُوا الْأَرْضَ جَحِيمًا وَحَرُوبًا وَتَرَاثًا مِنْ حَقِّ وَجْمَاجَمَ يَسْأَلُنَا عَنْهَا الْأَطْفَالُ :

لِمَذَا قُتِلُوا؟

وَلِمَذَا خَلَقْتُمْ جَبَلًا مِنْ إِرْثِ الْأَحْقَادِ؟

يَفْتَشُ أَطْفَالٌ فِي سِرْتَةِ مَقْتُولٍ لَا يَجِدُونَ سُوَى صُورَةَ طَفْلٍ مُنْتَظَرٍ لِأَيِّهِ!

وَقَصَاصَةُ شِعْرٍ لِلزَّوْجَةِ وَالْمَحْبُوبَةِ؛ لَا يَجِدُونَ سُوَى نَظَرَةَ عَيْنَيْنِ لَا تَمَة، سَائِلَةُ هَذَا
الْقَاتِلَ : هَلْ فَكَرْتَ - وَأَنْتَ تَشَدُّ زَنَادِكَ - أَنْكَ تَقْتُلُ إِنْسَانًا مِثْلَكَ؛ يَضْحَكُ مِثْلَكَ؛ يَبْكِي
مِثْلَكَ

إِنْسَانٌ ذُو عَيْنَيْنِ وَذُو شَفَتَيْنِ وَذُو حُلْمٍ مِثْلَكَ

إِنْسَانٌ يَشْعُرُ بِالْفَرَحِ وَبِالْخُوفِ وَبِالْحَزْنِ وَبِالْحُبِّ وَبِالنَّاسِ

مَنْ يُدْخِلُ فَرْحَةً عِيدٍ فِي قَلْبِ امْرَأَةٍ تَكْلِي؟

تَنْتَظِرُ الطَّارِقَ؛ قَدْ يَأْتِي الْوَلْدُ الْمَأْمُولُ!

وَهَذِي أَرْمَلَةٌ تَنْتَحِبُ بِصَمْتٍ

يَقْتَلُهَا التَّذَكَارُ، تَقْلِبُ وَسْطَ مَلَابِسِهَا : هَذَا فَسْتَانُ الْفَرَحِ

وَهَذِي صُورَتُنَا، فَيُشَيرُ الطَّفْلُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهَا : وَمَتَى سَيَعُودُ أَبِي؟!

تَتَظَرِّفُ إِلَيْهِ عَيْنَيْهِ فَتَبْصِرُ دَمْعَةً!

كُنْ مَا شَئْتَ وَلَا تَكُنْ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ

كِنِّ الْعَاشِقَ وَالْمَعْشُوقَ

وَخَالِفْ رَأِيَّ بِالرَّأِيِّ وَلَيْسَ النَّارُ

فَرِمَادُ النَّارِ يَخْلُفُ جَذْوَةَ حَقِّ تَشْتَعِلُ بِرِيحِ حَمْقَاءِ

سَنْزَرُعُ مِنْ كُلِّ رَمَادِ الْأَرْضِ زَهْوَرًا وَحَقْوَلًا مِنْ حُبٍّ تَمْرُحُ فِيهَا الشَّمْسُ

يَغْنِي فِيهَا اللَّيلُ، فَتَرْقُصُ أَنْجَمُهُ وَبِلَابِلَهُ

ضع في جيبك وردة

من حب في قلبك تنمو وتظل سقف الأرض
تغنى كل البشرية أغنية لسلام الأرض وللحب وللإنسان
فأنا إنسان يبحث فيك عن الإنسان
وأنا نبت الحب بكل بقاع الأرض؛ بكل زمان
وأنا التوراة أنا الإنجيل أنا القرآن
وأنا من كرمه الرحمن
وأنا إنسان يبحث فيك عن الإنسان

الشِّعْرُ.. دوائي..

أ. محمد الجلواح (السعودية)

شَمَخْتُ نفْسِيَ.

أَلَا أَصْفَحَا

مُذْأْتِي مُسْتَسْمِحَاً

مُسْتَصْفِحَا

شَمَخْتُ،

وَانْتَفَخْتُ، وَانْقَخْتُ

غَلَبَتْ (بِالْوَنْ) طِفْلٍ..

شَطَحَا !

سِرْتُ كَالْطَّاوُوسِ

فِي مِشَيَّةِ

وَمَشَى خَلْفِي..

ذَلِيلًا كَالْحَا

أَفْكَلَ الْبَابَ

عَلَى عِزْتِهِ

وَهُوَ مَنْ كَانَ

عَزِيزًا صَالِحًا

صَاحَ : أَيْنَ الشِّعْرُ ..

تَشَدُّدُهُ لَنَا

أَيْنَ قَوْلُ لَكَ :

أَلَا أَجَرَ حَارِ؟

قُمْ، وَنَادِ الْقَافِ ..

يَصْفُو حَالُنَا

قُمْ وَخَلَّ الشِّعْرَ

يَغْدو فَرَحَا

أَيْهَا التِّرْيَاقُ

لِلَّدَاءِ الَّذِي ..

أَعْجَزَ الطِّبَّ عَلَاجًا

نَاجِحًا

مرحبا بالشعر

في حالاته

دُمْتَ في القلب..

مساءً، وضحي

قال: عُدْ..

فامتنعت روحي له

فتغافلت طويلا.....فصحا..

الشِّعْرُ.. مَقْبَرَةُ الْكَرَاهِيَّةِ

أ. محمد الجلواح (السعودية)

سَادَفْنُ فِي الْأَغْوَارِ

كُلُّ رَصَاصَةٍ

وَكُلُّ سَوَادٍ

فِي الْقُلُوبِ

يُقْطَعُ

وَكُلُّ صُرَاطٍ

شَبَّ مِنْ بَعْدِ مَحْنَةٍ

وَكُلُّ جَهَالَاتٍ

عَلَى النَّاسِ تُشَرِّعُ

وَأَنْشَرُ بِالشِّعْرِ

الجميل قصائدي

وَأَجْعَلُ وَدَ النَّاسِ..

فِي النَّاسِ يَسْطَعُ

سأجعلُ عطر الحَرْف

يُخْفِي قديفة

ويُخْفِي

جراحاتِ الحروب

وينزع

ويدعو إلى

الْحُبُّ العظيم

ونوره

فَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ..

لَمْ يَكُنْ قَطْ يَنْفَعُ

التَّسَامُح

أ. محمود نور (الإمارات)

إِنَّ التَّسَامُحَ شِرْعَةُ الْخَلَاقِ
دِينٌ أَتَى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

فَالْأَرْضُ أَرْضُ اللَّهِ تَجْمَعُنَا مَعًا
حَتَّى نُعيِشَ بِالْفَةِ وَوِفاقِ

وَالشَّمْسُ تَنْشُرُ فِي الْوُجُودِ ضِيَاءُهَا
لَتُتَيِّرَ هَذَا الْكَوْنُ بِالْإِشْرَاقِ

هَذِي الْإِمَارَاتُ الَّتِي فِيهَا التَّقْتُ
أَمَمٌ فَكَانَتْ مَوْطِنَ الْأَشْوَاقِ

مَلَكُتْ قَلْوَبًا كَمْ تَهِيمُ بِحْبَهَا
وَكَانَّا هِيَ جَنَّةُ الْعُشَّاقِ

إمارات التسامح

وائل الجشي (لبنان)

وعَقدَ الفخرُ فِيَكَ يَلِيهِ عَقْدٌ
وَإِنْ وُصِّفَ الشَّفَاءُ فَأَنْتَ شَهَدٌ
بِغَيْرِكَ وَالْوَرَى شَكْرٌ وَحَمْدٌ
لَطْوَقَ جَيْدَكَ الْوَرْدِيَ وَرَدٌّ
طَيْورُ الْحُبِّ بِاسْمِكَ أَنْتَ تَشْدُو
وَلَيْسَ لَدِيكَ يَقْنَانٌ حَدٌّ
وَإِنْ قَصَرْتَ مَا هُوَ قَطْ قَصْدٌ
وَلَاسْمِكَ يَنْتَمِي عَزٌّ وَمَجْدٌ

إِذَا صَيَغَ النَّضَارَ فَأَنْتَ عَقْدٌ
بِعَوْنَ اللَّهِ صَافَحَتِ الْأَعْالَى
وَإِنْ دُكَرَ السَّلَامُ فَلَا سَلَامٌ
وَلَوْ كَانَ التَّسَامُحُ ذَا السَّانَ
حَرَوْفُكَ بِالسَّعَادَةِ نَاطِقَاتٍ
عَطَاؤُكَ لَيْسَ تَحْصِرَهُ حَدُودٌ
إِمَارَاتِ التَّسَامُحُ ذَا قَصْدِيَ
بِيَوْمِكَ كَمْ يَطِيبُ لِي احْتِقالٌ

قصائد مترجمة

السلام*

جورج هیربرت (1593-1633)**

ترجمة د. أحمد يحيى الغامدي (ال سعودية)

أيها السلام الفاتن أين مسكنك، التمسك في خشوع،
أخبرني ولو مرةً.

وأبحث في غير ذا المكان.
أجابتي ريح جوفاء: كلاً،
وسائل عنك إن كنت هناك،
بحث عنك في كهف خفي،

ذهبَتْ، وعنْ يَنْ طرِيقِي قوس قزح:
وقلتُ في نفسي هذا بالتأكيد،
هذه هي ربطـة معطف السلام:
سأتحـرى الأمر،
ويبـنـما نظرـتْ تفرق السحاب.
بعـدـها ذهـبـتْ إلـى حـديـقة وـلمـحتْ

زهرةً أنيقةً: تاج الإمبراطور،

وقلت: بالتأكيد هنا السلام في الجذور

وحين حضرت وجدت دودة تلتهم ذلك الجمال.

وأخيرا قابلت شيخاً وقورا ربيع المنزلة،

حين سأله ملحّاً عن السلام هكذا أجاب:

كان أمير في غابر الزمان

يسكن القدس يعيش في نماء،

مع الأنعام.

عاش في لطف، لكن لطفه

لم ينقذ حياته من الخصوم.

وبعد موته نبت فوق قبره

سنابل قمح شتا عشر؛

الكثير أخذ منها وهم في ذهول

ليزرعوا وينشروا

وفي غرابة تكاثرت، وسرعان ما ربّ

في أرجاء أرضنا:

لأن الذين ذاقوا طعمها يرددون

أن الفضيلة تكمن في جوفها؛

فضيلة خفية، تجلب السلام والسعادة

في رحيل الآثام.

خذوا من هذا القمح، الذي ينبت في حديقتي
من أجلكم؛
واصنعوا منه خبزكم: تلك الطمأنينة وذلك السلام
الذي تبحثون عنه بشفف في كل مكان
إنه هنا، هنا فقط.

* ترمذ إلى شخص المسيح عليه السلام وأن السلام يكمن في الإيمان والبعد عن الآثام.

** شاعر إنجليزي .

حين الصدور تناذينا

مايا أنجلو^{*} (1928-2014)

ترجمة: د. أحمد يحيى الغامدي (السعودية)

يا بلاداً تجاورنا

هشة وفي غرابة تنازعين

ورغم هذا تتدفعون في ديمومة الحصار

ولأجل كسب تحملون في صراعكم السلاح

وتتركون على ساحلي أطواقا من الأقدار،

وأكواها على صدري من الحطام.

ومع هذا أدعوكم اليوم إلى ضفة نهرى

إذا تركتم الحروب.

توافدوا ملتحفين السلام، وسأغني لكم قصائدأ

وهبها الخالق لي حين

كنت أنا والشجر والصخر خلقاً واحداً

* شاعرة أمريكية

صناعة السلام

دينيس ليفرتوف^{*} (1932-1997)

ترجمة د. أمل عايد الأحمدى (ال سعودية)

صوت ينادي في العتمة

« على الشعراء أن يرسموا صورة السلام »

بدلاً من الصورة المعتادة للحرب الغاشمة

غياب الحرب لا يعني السلام

فالسلام كالقصيدة

تأتي بلا موعد

تُخلق قبل أن تُصور

ويصعب فهمها إلا من نسيج كلماتها

ميزانها العدل

وأساسها التعايش

يتمكننا شعور تجاهها

نستشعر إيقاعها بعذوبة

حتى نبدأ في اقتباس عباراتها المجازية
ونستخدمها في حواراتنا اليومية

قد يحل السلام
ولكن بإعادة صنع القرار
والخلص من صراع المصالح والنفوذ
والمطالبة بالحقوق
والتراث قبل الإقدام

يدوزن السلام أو تاره ليصنع لحنا مختلفاً
مرتكزاً على وتر السلام والوجود
ويعرف للعالم بيتأً بعد بيت
إيقاعاً طاغياً على صوت طبول الحرب
كل لحظة حياة كلمة من كلماتها
وكل كلمة ومضة من نور
زوايا قطعة بلور

* شاعرة أمريكية.

العالم الذي أحلوه به

لانجستون هيوز^{*} (1902 - 1967)

ترجمة: زكريا أحمد عيد (مصر)

أَحْلَمُ بِعَالَمٍ لَا يَحْتَقِرُ فِيهِ

إِنْسَانًا آخَرَ

وَحِيثُ تَنْعَمُ الْأَرْضُ بِالْحُبِّ

وَيَرْفَرُفُ عَلَى طُرُقِهَا السَّلَامُ

أَحْلَمُ بِعَالَمٍ يَعْرَفُ فِيهِ الْجَمِيعُ

طَرِيقَهُمْ إِلَى الْحُرْيَةِ الْمُشْتَهَاهُ

وَيَخْتَفِي الْجَشْعُ الَّذِي يُوهِنُ الرُّوحَ

وَالْبَخْلُ الَّذِي أَفْسَدَ حَيَاتَنَا

أَحْلَمُ بِعَالَمٍ لِلْسَّوْدِ وَالْبَيْضِ

مِنْ جَمِيعِ الْأَعْرَاقِ،

حيث ينعم الجميع بخيرات الأرض

ويشعر كل إنسان أنه حر.

أحلم بعالم لا مكان فيه للبؤس

حيث الفرح مثل لؤلؤة،

تشع على جميع البشر

هذا هو العالم الذي أحلم به

* شاعرة أفراد وأمريكي.

شجرة السُّم

وليام بليك^{*} (1757 - 1827)

ترجمة: زكريا أحمد عيد (مصر)

غضبت من صديقي :

صارحته بغضبي، فحمدت ثورة غضبي

وعندما غضبت من عدوي :

كتمت عنه غضبي، فتما وازدهر

ورويته من مخاوفي

ليلًا ونهارًا بأدمعي

وغلفته بسماتي

وابأحابيل الخداع الناعمة

فاستمر نموه نهاراً وليلًا

حتى استوى تقاحة زاهية

ورآها عدوي تتألق

وكان يعرف أنها تقاحتى

فتسلل إلى حديقتي
في ليلة كثيفة الظلام:
و في الصباح أسعدني أن أرى
جثة عدوي ممددة تحت الشجرة

*
شاعر إنجليزي

التسامح فضلاً

ساندرا فلدمان^{*} (1939 - 2005)

ترجمة: د.شهاب غانم

كل فرد منا هو كما خلق.

لعلها الكيمياء،

هي التي تلعب الحيل غير المتناسقة فينا،

أو من يدرى ماذ.

كل شمعة لها فتياتها

وتحترق بشكل مختلف.

دعونا نحترم اختلافاتنا

برحمة

وبإنسانية وتسامح.

ودعونا نتواصل لنفهم بعضنا البعض

قبل أن نتهم

بعما؟؟

وبدون أمل.

وهكذا سوف نتقدم.

* شاعرة أمريكية.

ماذا؟

كاداما نيتا راما كريشنان^{*} (1935-2008)

ترجمة: د. شهاب غانم

عند عودتي من الشمال

التحقيت في القطار رجلاً من «كوجرات»

ذاهباً إلى «كوتشي» للتجارة.

سألني ما اسم جنابكم؟

أجبت: «rama كريشنان».

ردد: «rama كريشنان! rama كريشنان! رام، رام!»

واقترب مني.

من الواضح أنه سر باسمي.

سألني: هل أنت غير نباتي؟»

أجبت: لست متأكداً..

وماذا عنك؟ هل أنت كذلك؟»

أجاب بفخر ظاهر:

«نحن الفيشنا فايتين نباتيون تماماً.»

وكان ردي فوريا:

«كيف إذن قام بعضكم يا أكلة الأعشاب

ببقر بطن امرأة حبل

والتهم الطفل الذي كان داخلها؟

والمرأة أيضا؟»

... استحال إلى حيوان دميم الشكل

وأظهر أننيابه

ولوى حاجبه

في شكل قوس ضخم معد للرمي

وددمم:

«ماذا؟..»

* شاعر هندوسي من كيرلا بالهند

ملحق بأعضاء الملتقي

(مع حفظ الألقاب)

من الإِمارات:

إبراهيم العابد

أسماء صديق المطوع

بلال البدور

حارب الظاهري

حسن النجار

خالد الضنحاني

ذياب المزروعي

رفيعة غباش

زكي نسيبة

سلطان خليفة

سيف المري

شهاب غانم

شيخة المطيري

طلال الجنبي

طلال سالم

عبدالحكيم الزبيدي

عبدالله محمد السبب

عبدالله الهدية

علي عبيد الهاجري

محمد عبدالله نورالدين

محمود نور

ناصر الظاهري

الهنوف محمد

وئام غانم

يوسف الحسن

من البحرين

عبدالحميد القائد

من الجزائر

شادية شقراوش

محمد الدراجي

من السعودية

أحلام منصور الحميد القحطاني

أحمد يحيى الغامدي

أمل عايد الأحمدى

ثريا العريض

Jasim Al-Sabiq

محمد الجلواح

نادية عبدالوهاب خوندنة

نعيمة أحمد الفامدي

من السودان

الصديق عمر الصديق

عمر أحمد قدور

محمد عبد القادر سبييل

من سوريا

إيمان البهنسى

حسين درويش

جميل داري

رياض نعسان آغا

محمد البياسي

ناديا داغستانى طرابيشى

من سلطنة عمان

سعيد الصقلاوي

محمد قراطاس

من العراق

إياد عبد المجيد

ساجدة الموسوي

شاكر نوري

علي جعفر العلاق

غانم جاسم السامرائي

وصال العلاق

من فلسطين

نجاة الفارس

من الكويت

طارق فخر الدين

من لبنان

عدنان قداحه

وائل الجشي

من مصر

ثريا العسيلي

حسن شهاب الدين

ذكريا احمد عيد

عبدالوهاب قتيبة

محمد أبو الفضل بدران

من المغرب

حسن الأمرازي

خديةة الزواق

محمد الرباوي

من الهند

مجيب ادفاني

من اليمن

أحمد المنصوري

رعد أمان

عزيز ثابت

نجيب باوزير

وليد الزيادي

